Sana'a University Journal of Human Sciences
مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية
Vol. 3 | No. 1 | Page 198 – 233 | 2023 |
https://journals.su.edu.ye/index.php/jhs
ISSN : 2958-8677

أوضاع المعلمين والمتعلمين في الدولة الزيدية الثانية خلال القرنين السادس والسابع الهجريين.

The conditions of teachers and learners in the second Zaidi state during the sixth and seventh centuries AH.

طارق ناصر علي وهان

باحث – قسم أصول التربية–كلية التربية–جامعة صنعاء– اليمن

Tariq Nasser Ali Wahan

Researcher, Department of Fundamentals of Education - Faculty of Education– Sana'a University -Yemen

الملخص:

يهدف البحث للوقوف على أوضاع المعلمين والمتعلمين من حيث مكانتهم الاجتماعية وأوضاعهم المادية، وطبيعة العلاقة بين المعلمين وصلة التواصل بينهم، وعلاقتهم بطلابهم وبالمجتمع والدولة، وإسهاماتهم في حل القضايا السياسية والاجتماعية وغيرها من قضايا المجتمع في تلك المدة، وكذا الوقوف على أوضاع المتعلمين المادية وعلاقتهم بمعلميهم وبالمجتمع، ولتحقيق أهداف البحث استخدم الباحث المنهج التاريخي في الحصول على المادة العلمية المتعلقة لهذا الموضوع، ومن خلال البحث في المصادر والمراجع التي توافرت توصل الباحث إلى جملة من النتائج، أبرزها تأثير الأوضاع الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية على التعليم والنشاط العلمي الذي حصل في عهد تلك الدولة، وكذا تأثير العلاقات العلمية التي كانت قائمة بين اليمن وبين مختلف البلدان العربية والإسلامية مثل العراق ومصر ومكة والمدينة وخراسان والجيل والديلم وغيرها، وهو تأثير إيجابي على النشاط العلمي والفكري والثقافي، زاد من إثراء الحركة العلمية والفكرية والثقافية، التي كانت موجودة في اليمن متمثلاً في تأليف عدد كبير من المخطوطات والكتب والرسائل العلمية والثقافية في كافة المجالات.

الكلمات المفتاحية: أوضاع المعلمين والمتعلمين، الدولة الزيدية الثانية، اليمن.

Abstract:

The research aims to find out the conditions of teachers and learners in terms of their social status and financial conditions, and the nature of the relationship between teachers and the link between them, and their relationship with their students, and with society and the state, And their contributions to solving political, social and other issues of society in that period, As well as examining the material conditions of the learners and their relationship with their teachers and society. To achieve the objectives of the research, the researcher used the historical method in obtaining scientific material related to this subject, through searching the available sources and references, the researcher came to a number of results, the most prominent of which is the impact of the religious, political, social, economic and scientific conditions on education and scientific activity that took place during the era of that state, as well as the impact of the scientific relations that existed between Yemen and the various Arab and Islamic countries such as Iraq, Egypt, Mecca and Medina, Khurasan, Al-Jeel, Daylam, and others, and it is a positive impact on the scientific, intellectual and cultural activity that increased the enrichment of the scientific, intellectual and cultural movement that existed in Yemen. represented in the authorship of a large number of manuscripts, books, and scientific and cultural treatises in all fields.

Keywords: Conditions of teachers and learners, the second Zaidi state, Yemen.

المقدمة:

يعد النظام التعليمي جزء من النظام العام للمجتمع يتأثر بالأوضاع المحيطة به سلباً وإيجاباً، ويؤثر ويتأثر بالأوضاع الأخرى سلباً وإيجاباً بحسب قوة النظام أو ضعفه[1]، ولا يمكن أن تكون الحركة العلمية بمنأى عن اهتمام أي نظام حاكم أو إهمالها من خلال دعمه وتشجيعه للعلم والعلماء والمتعلمين،

[1] أحمد أحمد الأنسي: "المقررات الدراسية في اليمن في عهد الدولة الصليحية (439هـ-532هـ)"، مجلة الدراسات الاجتماعية، العدد (50)، أكتوبر-ديسمبر، تصدر عن جامعة العلوم والتكنولوجيا، صنعاء، 2016م، ص103.

وإسهامه في بناء المؤسسات التعليمية، وتشجيعه الخيرين والميسورين من أبناء المجتمع على الإنفاق على العلم والعلماء وطلبة العلم والمؤسسات العلمية والتعليمية المتنوعة، أو إهمال ذلك كله.

وأن معرفة الدور الذي قدمه الحكام والعلماء خلال القرنين السادس والسابع الهجريين في المجتمع من دعم وتنشيط الحركة العلمية تدخل ضمن الأهداف التي تحققها الدراسات التربوية التاريخية[1].

وقد حظي المعلمون في عهد الدولة الزيدية الثانية بمكانة عالية رفيعة ومميزة في أوساط المجتمع، وكان لجهودهم المتواصلة في تعليم وتربية أنفسهم وأولادهم أولاً، ثم المجتمع من حولهم أثر كبير في احترام الناس لهم والرفع من شأنهم وإنزالهم المنزلة التي تليق بهم، ومن ثم فقد تنوعت مظاهر الاحترام والتقدير لهم من قبل عامة الناس بشكل عام، ثم من قبل الأئمة والأمراء بشكل خاص، ومن ذلك الموافقة لرأي العلماء وقبول كلمتهم وتعظيمهم بل وتفخيمهم، مثال ذلك أن عالم الزيدية الحسن بن زايد كان قد بلغ من العلم مبلغاً كبيراً، وأصبح ذا تأثير عظيم على اتباع الزيدية، وكان له دور بارز في نشر الفكر الزيدي في هجرة سناع، فكان أول من عقد مجالس التدريس في الأصول بسَنَاع بعد أن انتقل إليها من حدة إحدى بلاد بني شهاب بجوار صنعاء[2]، ويصفه مسلم اللحجي بقول: "كان عظيم البركة على الزيدية، سعيد الجد على الملة، قوي التأثير، حسن السيرة، وذلك لأنه أول من عقد مجالس التدريس وتعليم الأصول...، وتلقين المسائل الأصولية والكلام عليها ليلاً، والسمر بذكر الله تعالى، وتعليم توحيده في الليالي بسناع"[3]، وقد كان لجهوده دور كبير في شهرة هجرة سناع لدى الناس، فقصدوها من مناطق زيدية كثير طلباً للعلم، وحباً في الاجتماع بمن يعين على العبادة، يقول مسلم اللحجي: "فكان ذلك مما زادت به شهرة الموضع-يقصد هجرة سناع-عند الناس بالعلم والعبادة والتعليم، فقُصِدَ من كل جهة، وحيي به الإسلام"[4].

ومنهم العلامة القاضي جعفر بن أحمد بن عبد السلام (ت573هـ/1177م)، الذي كان شيخ الزيدية ومتكلمهم ومحدثهم، وعالم الزيدية ومخترعها وإمامها، وله مصنفات في كل فن، عليها اعتماد الزيدية في وقته[5]، وكان له مدرسة بهجرة سناع ولم يزل مدرساً بها حتى توفي بها[6]، ومنهم -أيضاً- العالم الحسن بن محمد الرصاص (ت548هـ/1153م)، الذي كان يأتيه طلبة العلم الزيدية من مناطق شتى، وكان ممن درَس عليه الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة (ت614هـ) وقرأ عليه علم الكلام وأصول الفقه وفروعه والأخبار المأثورة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم[7].

ومن مظاهر الاحترام والحب للعلماء دعوة الناس لهم ورغبتهم في السكن بين أظهرهم[8]، وإظهار الفرح والسرور حين قدومهم إليهم واستبشارهم بذلك، فهذا الشيخ إبراهيم بن أبي الهيثم عندما انتقل من هجرة سناع إلى قرية مدر من مشرق حاشد وابتنى بها منزلاً؛

1 أحمد الأنسي، المرجع السابق، ص103.
2 مسلم اللحجي (ت545هـ)، تاريخ مسلم اللحجي ويسمى بأخبار الأئمة من آل البيت وشيعتهم باليمن، مخطوطة، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ص52، يحيى بن الحسين بن القاسم (ت1100هـ) طبقات الزيدية الصغرى، توجد منه صورة في المكتبة المركزية، جامعة صنعاء، وهي مصورة في قرص C. D رقم (5252) في المكتبة السمعية والبصرية التابعة للمكتبة المركزية، ص98.
3 مسلم اللحجي، مرجع سابق، ص52.
4 المرجع السابق، ص52.
5 إبراهيم بن القاسم الشهاري، طبقات الزيدية الكبرى ويسمى بلوغ المراد إلى معرفة الإسناد، تحقيق: عبد السلام بن عباس الوجيه، ط (1)، ج (1)، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمان، 1421هـ/2001م، ص277.
6 إبراهيم الشهاري، مرجع سابق، ج1، ص277،278.
7 المرجع السابق، ج1، ص597.
8 محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي، السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي، ط (1)، ج (1)، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1414هـ/1993م، ص241، 340.

فرح الناس وظل مقيماً بينهم حتى بلغه أن قوماً شربوا الخمر فكره الجلوس بينهم ورحل عنهم[1].

لقد كانت المكانة التي احتلها العلماء والتقدير الذي حظوا به هو تقدير وتقديس للعلم، ولمن يحملونه، ويعود الفضل في غرس هذه المعاني السامية وترسيخ تلك القيم الفاضلة في نفوس المسلمين تجاه العلماء والفقهاء إلى الدين الإسلامي الذي مجد العلم ورفع مكانة طالب العلم ومعلم هذا العلم، والمعلمون في عهد الدولة الزيدية الثانية كان لهم الريادة في المجتمع، وكانوا يحتلون مكانة مرموقة في المجتمع، نظراً لدورهم البارز ومساهمتهم في كثير من الأنشطة السياسية والاجتماعية والثقافية.

ويأتي اختيار الباحث لهذا الموضوع إسهاماً في إبراز الجانب العلمي والتعليمي في اليمن في عصر تاريخي محدد ولمذهب بعينه في ظل نظام سياسي حكم اليمن في مدة زمنية محددة؛ لمعرفة حجم ونوع النشاط العلمي والحركة العلمية في تلك المدة.

ثانياً: التساؤل الرئيس للبحث: ما أوضاع المعلمين والمتعلمين، وما طبيعة العلاقة بينهم وبين المجتمع في الدولة الزيدية الثانية خلال القرنين السادس والسابع الهجريين؟

ويتفرع عنه التساؤلات الفرعية الآتية:

1- ما الأوضاع الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية التي أثرت على المعلمين والمتعلمين في الدولة الزيدية الثانية خلال القرنين السادس والسابع الهجريين؟

2- ما أوضاع المعلمين والمتعلمين، وما طبيعة العلاقة بينهم وبين المجتمع، وما أدوارهم في اصلاح ووحدة المجتمع والدفاع عنه في الدولة الزيدية الثانية خلال القرنين السادس والسابع الهجريين؟

ثالثاً: أهمية البحث: تتمثل الأهمية النظرية للبحث فيما سيمثله من إضافة للمكتبة التربوية حيث يعتبر أول بحث-بحسب علم الباحث-لدراسة أوضاع المعلمين والمتعلمين في الدولة الزيدية الثانية خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، أما الأهمية التطبيقية فتتمثل فيما سيستفاد من البحث في الميدان التطبيقي للتربية والتعليم في الجوانب الإيجابية المتمثلة في تشجيع العلماء وطلبة العلم على التعلم الجاد والنوعي، وكما يعد خدمة للتراث اليمني بشكل عام والتربوي بشكل خاص، وخدمة للأجيال القادمة وكل الباحثين والمهتمين بتراث وتاريخ اليمن خاصة والعالمين العربي والإسلامي بشكل عام، وأيضاً من أجل العمل على الاستفادة في الواقع التربوي وإصلاح جوانب ونقاط الضعف في الواقع التربوي الحالي.

رابعاً: منهج البحث: لتحقيق أهداف البحث استخدم الباحث المنهج التاريخي باعتباره أنسب مناهج البحث لهذا الموضوع التاريخي، وبأسلوبه الاسترادي الذي يعتمد على استرداد الماضي من خلال ما تركه من آثار والرجوع إلى المصادر الأولية وتشمل المخطوطات والكتب ذات العلاقة بموضوع البحث، والرجوع إلى المصادر الثانوية والرسائل العلمية والأبحاث المحكمة ذات العلاقة بموضوع البحث، ثم استخلاص الاستنتاجات، وكتابة تقرير البحث.

خامساً: حدود البحث: يقتصر البحث على الإجابة عن أسئلة البحث، كما يقتصر على أوضاع المعلمين والمتعلمين في الدولة الزيدية الثانية خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، وعلى المدة التي حكمت

[1] مسلم اللحجي، مرجع سابق، ص85.

فيها الدولة الزيدية الثانية والمحددة بالقرنين السادس والسابع الهجريين، أما الموضوعات الأخرى التي يتناولها البحث فتقتصر على مدة حكم الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان حتى الإمام المهدي محمد بن المطهر بن يحيى.

سابعاً: التعريف الإجرائي لأوضاع المعلمين والمتعلمين: هي أوضاعهم المالية وعلاقاتهم الاجتماعية وتأثيراتهم وادوارهم في المجتمع والدفاع عنه وعلاقتهم فيما بينهم وبين المجتمع في الدولة الزيدية الثانية خلال القرنين السادس والسابع الهجريين.

أولاً: نبذه عن الأوضاع الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية وتأثيرها في أوضاع المعلمين والمتعلمين في الدولة الزيدية الثانية خلال القرنين السادس والسابع الهجريين:

1- الأوضاع الدينية:

يعد الدين وتعاليمه وأوامره ونواهيه من أقوى العوامل تأثيراً في حياة المجتمع، وفي تحقيق التوافق النفسي للفرد والمجتمع، ويشكل عاملاً مسيطراً على الحياة اليومية للمجتمع اليمني، وقد وعى أفراد المجتمع اليمني التعاليم الإسلامية التي تحث على طلب العلم فأقبل عليه الطلبة، وتحملوا المشاق في طلبه بالصبر والجهد، والسفر إلى مشاهير العلماء والفقهاء في المؤسسات التعليمية والمراكز العلمية المختلفة، وبذل العلم لمن يطلب، فقد وجد الكثرة الكثيرة من العلماء الذين بذلوا العلم وكرم الضيافة لطلبتهم في هذه المؤسسات والمراكز العلمية[1].

ويعد الدين من أقوى العوامل التي أثرت في حياة المجتمع، فهو الذي يدفع المتعلمين وأولياء أمورهم إلى الإقبال على طلب العلم، ويدفع العلماء إلى تعليم الراغبين في التعلم ابتغاء الأجر في الآخرة، ويدفع الحكام والأمراء والميسورين من أبناء المجتمع إلى بناء مؤسسات وأماكن التعليم والإنفاق على القائمين عليها وعلى المعلمين وعلى طلبة العلم من الفقراء، وبناء المكتبات العامة والتبرع بالكتب وشرائها وحفظها وإعارتها إلى غير ذلك من القربات والأعمال التي يدعو ويحث عليها الدين[2].

وكان للتنوع المذهبي في تلك المدة دور في تنشيط الحركة العلمية، فكان كل مذهب ينطلق من دعوة دينية مذهبية بمعنى أنهم يستجيبون لما يأمر به الإسلام بناءً على الفهم المذهبي لأوامر الإسلام في ظل عدم تجاوز الأصول والثوابت، وهذا الكلام إنما ينطبق على المذاهب التي لم تأت بمبادئ ومعتقدات تتناقض مع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم[3].

الأوضاع السياسية:

كان الوضع السياسي لليمن قبيل قيام الدولة الزيدية الثانية خلال القرنين السادس والسابع الهجريين وضع يسوده التمزق والانقسام والفوضى والتنازع والصراع[4]، فلقد عاش اليمن صراعاً سياسياً ومذهبياً تغذيه الصراعات القبلية الداخلية من جهة، والتدخل الخارجي المستمر من جهة أُخرى، وكان من النتائج

[1] محمد الجندي، مرجع سابق، ص468-469.
[2] المرجع السابق، ص104،105.
[3] نفسه، ص105.
[4] نفسه، الصفحة نفسها.

المباشرة لهذه الصراعات ظهور إمارات ودول متعارضة سياسياً، صبغت نفسها بصبغة مذهبية تغذيها نزعات عرقية وقبلية تسعى للحفاظ على استقلالها الذاتي وتسعى لرفض السلطة المركزية للدولة وعدم الإذعان لها[1].

وقد ارتبط التاريخ السياسي والمذهبي في اليمن بتاريخ أئمة الزيدية الذين كانت لهم سيادة على معظم أقاليم شمال اليمن، كما كانت هذه السيادة تتغير وتتبدل بشكل سريع وفقاً لإعلان القبائل اليمنية عن ولائها أو خلافها للإمام القائم، أو نتيجة للصدام العسكري مع القوى السياسية والمذهبية الأخرى، ومن ثَمَّ فإن مناطق النفوذ كانت تتسع وتتكمش وفقاً لما تمليه الظروف السائدة[2]، بل إن الصراع الذي نشأ بين الدولة الزيدية وبين الدول الأخرى التي كانت موجودة على الساحة اليمنية في تلك المدة وكذلك بين الزيدية وبين الدولتين الأيوبية والرسولية، كل ذلك كان له الأثر الكبير على الحركة العلمية والثقافية والفكرية في المجالات كافة.

وقد حصلت خلافات وانقسامات داخل المذهب الزيدي نفسه، وكان الخلاف على أشده محتدماً بين الزيدية المطرفية والمخترعة، ووصل إلى حد التكفير وإعلان الحرب على الخصم، ولكن الجميع كان متفقاً ومتحداً في عدائهم للإسماعيلية مع بقية المذاهب التي كانت موجودة في تلك المدة، ووجهوا سهامهم نحو المعتقد الإسماعيلي اعتقاداً منهم في انحرافه عن الإسلام، وجرد أتباع كل مذهب أقلام علمائه وألسنتهم لفضح الباطنية وكشف مثالبها، وكان بالمقابل الرد من قبل الإسماعيلية ودحض تلك التهم والأفكار والمعتقدات[3]، وكذلك وجه اتباع المذهب الزيدي سهامهم نحو الأيوبيين والرسوليين واسموهم بـ(الغز) ودعوا إلى جهادهم وقتالهم وتكفيرهم وتكفير كل من يدخل معهم في صلح أو معاهدات ضد الدولة الزيدية[4]، بالإضافة إلى ما وجد في الساحة العلمية والثقافية والفكرية الزيدية من مناظرات وحلقات وأسئلة وردود ومؤلفات ورسائل لحكام وعلماء الزيدية المخترعة موجهة نحو الزيدية المطرفية والرد من قبل الفرقة المطرفية وهكذا، مما أوجد حراكاً فكرياً ونشاطاً علمياً بين علماء ومتعلمي الزيدية في تلك المدة دلت عليه العديد من المصنفات والمؤلفات والردود والمناظرات والكتب والرسائل العلمية في عموم الساحة اليمنية.

2- الأوضاع الاجتماعية:

كانت القبيلة وما تزال عنصراً فاعلاً في المجتمع اليمني منذ القدم وإلى اليوم، وبمجيئ الإسلام دخلت أغلب القبائل فيه طواعية، وتعامل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع الوضع الذي كان قائماً وأعطى للقبيلة مكانتها وحفظ لزعماء وشيوخ القبائل هيبتهم واحترامهم ومكانتهم، فالإسلام عمل على تهذيب القبيلة ولم يدع إلى إلغائها، وجعل الانتماء والولاء للعقيدة فوق كل الانتماءات والولاءات[5].

[1] عبد العزيز قائد المسعودي، إشكالية الفكر الزيدي في اليمن المعاصر، قراءة في القراءات السبع لتراث معتزلة العراق، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2008م، ص77، 84.
[2] سليمان بن يحيى الثقفي، سيرة الإمام أحمد بن سليمان (532-566هـ)، تحقيق: د. عبد الغني محمد عبد العاطي، ط (1)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، القاهرة، 2002م، ص7.
[3] أحمد الأنسي، مرجع سابق، ص106.
[4] أحمد بن الحسين (الإمام المهدي) (ت 656هـ/1259م)، مجموع رسائل، تحقيق: عبد الكريم أحمد جدبان، (ط1)، منشورات مكتبة التراث الإسلامي، صعدة، 1424هـ/2003م، ص172.
[5] عبد الرحمن عبد الواحد محمد الشجاع، الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الأزهر، القاهرة، 1406هـ/1986م، ص37ومابعدها.

وقد احتل العلماء والفقهاء والمشائخ المعلمين، وكذلك الطلبة المتعلمين مكانة رفيعة في أوساط المجتمع، وكان لهم أهمية كبيرة في المؤسسات التعليمية في الدولة الزيدية الثانية خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، وذلك من خلال طبيعة المهام والمسؤوليات التي كانت تقع على عاتقهم فقد كانوا أعمدة العملية التعليمية كاملةً، وأن المدرسة أو الهجرة العلمية لم تكن تكتسب سمعتها وتتجه نحوها أنظار طلبة العلم في المناطق الأخرى إلا بسبب المكانة العلمية التي يتمتع بها عالمها أو فقيهها أو شيخها[1].

ونتيجة لهذه المكانة العلمية المرموقة التي كان يحتلها العلماء والمتعلمون في الدولة الزيدية الثانية، التي من خلالها وصل هؤلاء العلماء والفقهاء إلى تولي المناصب الرفيعة في الدولة، وحاولوا الإصلاح في المجتمع من خلال حكمهم وتوليهم هذه المناصب، وفي مقدمة هؤلاء القضاة وأصحاب ديوان المظالم والحسبة، الذين كان لهم دور كبير في معالجة كثير من القضايا، وإصلاح ما يمكن إصلاحه وتعليم ما يمكن تعليمه، ومنهم العلامة الفرضي الشيخ الفضل بن أبي السعد العصيفري، الذي كان معاصراً للإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة وكان الشيخ الفضل من أشهر العلماء باليمن في الفرائض وقد طلب منه الإمام تأليف كتاب في علم الفرائض ويقال: نه في عشرة أجزاء[2] وغيره من العلماء والفقهاء والقضاة الذين كان لهم دور بارز في بناء الدولة إلى جانب الحكام والأمراء، وكان لهم دور في مناصحة الحكام وتبصيرهم بالصائب من الأقوال والأفعال لما فيه مصلحة العامة.

وكان هناك –أيضاً– أعداد كثيرة من العلماء الذين عملوا في مناصب مهمة في الدولة نتيجة لتبوئهم مكانة عالية في العلم، وبعضهم في إمامة المساجد، وبعضهم–وهم قلة–مناصب إدارية أخرى، ولكن الغالبية العظمى من العلماء كانوا يشتغلون بالقضاء: ومنهم في مدينة صنعاء كان هناك القاضي الفقيه العلامة مفرح بن مسعود قاضي الشريعة المطهرة بمدينة صنعاء، وكان يقضي بها للإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة، فأقام بها الجُمَع، وأزال ظاهرة الفساد والبدع، وأقام الحد على شرب الخمر بعد إهراق ما وجد منه حتى أنه حد أربعين في أيام قليلة ممن شرب الخمر، وحبس الفواسد من النساء الموقفات لذلك وزوج طائفة منهن، وأزال معظم المنكرات، وهابه أهل الفساد، وأنفذ الأحكام على الغز وغيرهم بقوة عزمه وصدق نيته، وأتى العلم إلى الإمام فشكر سعيه ودعا له[3]، ومنهم القاضي ركن الدين يحيى بن جعفر بن أحمد بن عبد السلام الذي كان مبرزاً في العلوم محققاً في أنواعها، وقد تولى للإمام عبد الله بن حمزة حقل وحقالية[4] وما بينهما من بلاد جنب، وتولى القضاء في ما بان هنالك من تلك النواحي، فكان "يقضي بين الناس ويقيم الحدود على مستحقيها في جميع تلك البلاد"[5] وغيرهم كثير.

[1] عبد الغني علي علي عائض الأهجري، الحياة العلمية في اليمن من بداية القرن التاسع الهجري حتى سيطرة العثمانيين عليها (801-945هـ/ 1397-1538م)، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة المنصورة، المنصورة، 1429هـ/2008م، ص368.

[2] يحيى بن القاسم، طبقات الزيدية الصغرى، مرجع سابق، ص140.

[3] أبو فراس بن دعثم، السيرة الشريفة المنصورية سيرة الإمام عبد الله بن حمزة (593-614هـ)، تحقيق: د. عبد الغني محمود عبد العاطي، ط (1)، ج(2)، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1414هـ/1993م، ص48.

[4] الحقالية: محلة من قرية حقل، عزلة بلاد جنب العمري ناحية السود (من هامش السيرة المنصورية)

[5] يحيى بن القاسم، طبقات الزيدية الصغرى، مرجع سابق، ص138، وأحمد بن صالح بن أبي الرجال، مطلع البدور ومجمع البحور في تراجم

3- الأوضاع الاقتصادية:

الوضع الاقتصادي يؤثر بدوره على الوضع العلمي إيجاباً في حال قوته وازدهاره، وسلباً في حال ضعفه وقلة وانحسار الموارد، ولا يمكن أن يكون مزدهراً في ظل أوضاع سياسية غير مستقرة، ولأن اليمن بلد زراعي في المقام الأول؛ لذلك فإن العائدات الاقتصادية من الزراعة كانت هي الأكبر لما يتمتع به من أرض خصبة ومناخ معتدل ومتنوع وأمطار غزيرة، فتنوعت المحاصيل الزراعية وارتفعت عائداتها المالية للمزارعين وللدولة، غير أن هذه الإيجابيات لا تستغل ولا تأتي بمردود إيجابي عندما تُهمل أو تُترك تماماً بسبب النزاعات والحروب وعدم الاستقرار مما ينعكس سلباً على اقتصاد المجتمع[1].

أما التجارة فقد اشتهرت اليمن بها من أزمان غابرة بسبب امتلاكها لمنافذ بحرية مهمة وبسبب موقعها المتوسط بين الشرق والغرب، ونشطت التجارة في اليمن بشكل ملحوظ بعد تحول طريق التجارة العالمي إلى البحر الأحمر، هذا التحول أخرج اليمن مما كانت تعيشه من عزلة حيث عادت الحياة إلى موانئ اليمن، وراجت السلع التي كانت تشتهر بها اليمن منذ القدم كالبخور واللبان والأدوات الحربية، لاسيما السيوف اليمانية ذائعة الصيت، والأقمشة والمنسوجات اليدوية والعقيق اليماني، فعملت على تصدير هذه السلع وغيرها مما كانت تشتهر به اليمن واستوردت سلع ومنتجات تحتاج إليها السوق اليمنية، وكانت عملية التصدير والاستيراد يكون عن طريق الموانئ اليمنية المشهورة وأبرزها ميناء عدن الذي أغرى–وما يزال إلى يومنا هذا–موقعه الاستراتيجي الطامعين في عصور متعددة وحتى اليوم، وبالإضافة إلى شهرة عدن باعتبارها منفذاً بحرياً مهماً فقد كانت سوقاً نشطة تقام بها سوق سنوية تلتقي فيه السلع الإفريقية والهندية والمصرية، حيث كانت تبحر السفن من اليمن إلى إفريقيا والهند ومصر وغيرها من بلدان العالم، وكانت هذه السوق تقام في العشرة الأيام الأولى من رمضان بعد سوق الشحر في حضرموت[2].

وأما الصناعات الحرفية في اليمن فكانت مضرب الأمثال في جودتها مثل: صناعة السيوف والأدوات الحربية المتنوعة، وصناعة النسيج ودباغة الجلود والسفن والأدوات الفخارية والخزف والزجاج والأدوات الزراعية، وصناعة الحلي والمطرزات وأدوات الزينة من الأحجار الكريمة[3]، هذا التنوع كان له أثر إيجابي في تحسين الأوضاع المعيشية للمشتغلين بهذه الحرف، وانعكس على وضعهم الاقتصادي إذ تمكنوا من تعليم أبنائهم، إضافة إلى تعليمهم الحرفة أو الصنعة، وتركزت أغلب الصناعات الحرفية في المدن الرئيسة لرواج هذه الحرف فيها ولكثرة من يتردد على المدن للسكن المؤقت أو للزيارة أو للشراء أو للاستقرار فيها؛ لوجود مجالات العمل ولأن الحياة في المدينة أيسر وأفضل، وكذا لوجود العلماء والمراكز العلمية[4].

4- الأوضاع العلمية:

نظراً لتأثر النشاط العلمي والحركة العلمية عموماً بالأوضاع حولها، ولأن الأوضاع غير الطبيعية وغير

رجال الزيدية، تحقيق: عبد الرقيب مطهر محمد حجر، ط (1)، ج (4)، منشورات مركز أهل البيت (ع) للدراسات الإسلامية، صعدة، 1425هـ/2004م، ص489.

[1] أحمد الأنسي، مرجع سابق، ص107.

[2] محمد رضا حسن الدجيلي، الحياة الفكرية في اليمن في القرن السادس الهجري، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، شعبة دراسات العلوم الاجتماعية، مطبعة جامعة البصرة، البصرة، 1405هـ/1985م، ص217، وأحمد الأنسي، مرجع سابق، ص108.

[3] محمد بن علي الأكوع، اليمن الخضراء مهد الحضارة، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 2004م، ص209-213، وأحمد الأنسي، مرجع سابق، ص108.

[4] أحمد الأنسي، مرجع سابق، ص108،109.

المستقرة تنعكس على العلم والحركة العلمية والنشاط العلمي، فقد كان للعامل الديني دوره الايجابي في تنشيط الحركة العلمية، وفي دفع الناس إلى الإقبال على العلم تعلماً وتعليماً من خلال الحث القرآني والنبوي للمسلمين في كثير من الآيات القرآنية التي تتحدث عن أهمية العلم ومكانة العلماء وتقديرهم[1] ومنها قول الله تعالى: **{يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ الذينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}**[2]، وقوله تعالى: **{فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}**[3]، وقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الحث على التعلم والتعليم: "طلب العلم فريضة على كل مسلم"[4].

وكان للتنافس المذهبي، وكثرة المناظرات العلمية بين علماء المذاهب الموجودة آنذاك، وبين علماء الزيدية بفرقهم المختلفة دور كبير في رغبة أئمة وعلماء الدولة الزيدية في نشر مذهبهم في المناطق التي كانت تحت سيطرتهم، الأمر الذي دفعهم إلى تخصيص بعض المنازل كمدارس أو معلامات للتعليم والتدريس، وأيضاً تخصيص الأماكن الملحقة بالجوامع أو ما يسمى بالكتاتيب للتعليم والتدريس ونشر الفكر والمذهب الزيدي في كل البلاد اليمنية[5]، كما أن اهتمام الأئمة بالعلم وإجلالهم للعلماء وطلبة العلم وتخصيص مخصصات شهرية لهم[6]، كل ذلك كان له الدور الكبير في تفرغ العلماء لنشر العلم وتعليمة، والحث على تشجيع طلبة العلم لمواصلة تعليمهم، وأيضاً كان نتاجه وقف الأراضي والأموال لصالح بناء المؤسسات التعليمية والإنفاق على العلماء وطلبة العلم فيها، وكان هذا نتيجة طبيعية لسياسة الحث على التعليم والتدريس من قبل الأئمة، وكذا كان نتاجه الكثير من علماء الزيدية، ومن ثَمَّ تأليف المئات بل الآلاف من المؤلفات الدينية والفقهية والأدبية والفكرية والعلمية، وهذا لم يكن ليأتي من فراغ، وإنما كان نتيجة طبيعية لسياسة الحث على التعليم والتدريس، والعمل الدؤوب الذي قام به أئمة الدولة الزيدية في هذا المجال.

ومن هنا يمكننا القول بأن السياسة التي اتبعها أئمة الدولة الزيدية الثانية من حبهم للعلم والعلماء وطلبة العلم وتقريبهم منهم والأخذ بآرائهم في كل الظروف، كان لذلك الأثر الكبير في تشجيع الخيرين والمقتدرين من أبناء المجتمع على الاهتمام بالعلم والعلماء وطلبة العلم، ووقف المخصصات المالية والأراضي والمساكن لصالح العلم والتعليم وابتغاء الأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى، الأمر الذي أدى إلى وجود الكثير من المؤسسات التعليمية، ومن ثَمَّ وجود نشاط وحركة علمية وتخرج عدد كبير من العلماء والفقهاء ونشر الفكر والمذهب الزيدي، ومن ثَمَّ تصنيف وتأليف الكثير من الكتب التي تزخر بها مكتبات الزيدية إلى وقتنا الحاضر، التي مازال بعضها مخطوطات حبيسة المكتبات الخاصة والعامة، وبانتظار من يحققها ويخرجها للنور؛ لكي الاستفادة تكون منها.

ثانياً: أوضاع المعلمين والمتعلمين في الدولة الزيدية الثانية خلال القرنين السادس والسابع الهجريين:

أ- المعلمون:

[1] المرجع السابق، ص109.
[2] المجادلة، آية11.
[3] النحل، آية43.
[4] محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه أبو عبد الله، سنن ابن ماجه، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه العلامة المحدث: محمد ناصر الدين الألباني، ط(1)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، حديث رقم 224، ص56.
[5] أبو فراس بن دعثم، مرجع سابق، ج2، ص291-929.
[6] أبو فراس بن دعثم، مرجع سابق، ج3، ص503.

يمثل المعلمون –دائماً– في كل زمان ومكان حجر الزاوية في الحياة العلمية، وإن اختلفت مسمياتهم من مكان إلى آخر ومن زمان إلى آخر، وحاز المعلمون على مر القرون التاريخية الإسلامية أرفع المكانة وحظوا بالاحترام الكبير من بقية أفراد المجتمع المسلم، بل كان الحكام أنفسهم يجلونهم حباً في العلم و هيبة له؛ وذلك لتأثير هؤلاء العلماء المعلمون في كل الشرائح الاجتماعية الأخرى، وهناك مقولة شائعة في حقهم "الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك"، وإن كانت هذه المنزلة قد فقدت كثيراً من تأثيرها وتدنت حظوظها من الاحترام والتقدير في العصور المتأخرة إلا أنهم في زمن الدراسة كانوا هم صفوة المجتمع وأصحاب التأثير الذي قد يكافئ تأثير الحكام والأمراء.

والمعلم هو كل من مارس مهنة التعليم، سواءً في المرحلة الأولى أو في المراحل العليا، ويشمل ذلك معلمي الكتَّاب والمؤدبين والعلماء، ولم يكن هناك فاصل بين العلماء المعلمين والمؤدبين؛ إذ الجميع يقومون بمهنة التعليم بأجر وتطوع، لتثقيف الناس وتعليمهم عن طريق حلقات تعليمية أو تأليف كتب ونشرها[1]، وكان يمارس التعليم كل من كانت تؤهله قدراته العقلية والعلمية لممارستها على أي مستوى من المستويات، إذ لم تكن هناك مؤسسات خاصة لإعداد المعلمين، فالجميع يتلقون علومهم في مؤسسة تعليمية أو أكثر وعلى أيدي أبائهم وأقاربهم[2].

ولم يكن المعلمون على مستوى واحد في الحصيلة العلمية والخبرة التدريسية والمراحل العُمُرية، ومن ثَمَّ تباينت أدوارهم التعليمية وتعددت وظائفهم العلمية طبقاً لذلك، فقد مارس التعليم في عهد الدولة الزيدية الثانية الحكام والعلماء والفقهاء والقضاة، بالإضافة إلى قيامهم كلٌ بوظيفته، كما قاموا أيضاً بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا الاعتبار يدفعنا إلى التعرف إلى أصنافهم بناءً على نوعية عملهم التعليمي الذي مارسوه وأيضاً الفئة العُمُرية التي تتلقى العلم عنهم.

1. أصناف المعلمون:

أ- معلمو المرحلة الأولى (معلمو الكُتَّابَ أو المعلامة):

كانت مهمة معلم الكتَّابَ أو المعلامة هي تعليم الصبيان أبجديات العلوم الأساسية الأولى، أي تعليمهم الكتابة والقراءة وحفظ القرآن الكريم، وأيضاً تعليمهم بعض العلوم الأخرى التي تعينهم وتنفعهم في حياتهم، وكذلك إكسابهم المهارات اللازمة التي تؤهلهم لاقتحام المرحلة الآتية بكل جدارة وجاهزية، ولم تكن مهنة تعليم الصبيان آنذاك مهنة مغرية تدر الكثير من المال؛ نظراً لقلة ما كان يُدفع للمعلمين من أجور، حيث كان الصبيان هم من يدفعون للمعلمين، ونظراً لقلة ما كان يدفعه الصبيان من أجور، فقد كان المعلمون يستوفون أجورهم أحياناً موادَّ عينية وبعضاً مما يأكله الناس وينتفعون به[3].

وعرفت اليمن التعليم الأولي على أيدي معلمين يعلمون الصبيان وقد اختصوا بهذه المهنة، حيث كان بعضهم على درجة عالية من الثقافة في شتى المجالات، مثل القرآن الكريم، والقراءات، والحديث، والفقه، والنحو وغيرها من العلوم التي كان يمتلكونها معلمي الكتَّابَ في تلك المدة، ومنهم من اشتهروا

[1] أحمد شلبي، التربية والتعليم في الفكر الإسلامي، موسوعة الحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة الحديثة، القاهرة، 1987م، ص209.

[2] حسن عبد العال أحمد، التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، دار الفكر العربي، القاهرة، 1978م، ص157،158.

[3] حسن أحمد، مرجع سابق، ص160.

بإلمامهم الواسع بمختلف العلوم وكانوا قدوة في علمهم وعملهم، سواءً لدى طلابهم أو عند من سمع وقرأ عليهم[1].

وكان هناك شروط يجب توافرها في معلمي الصبيان لكي يتم الاعتماد عليهم في تربية وتعليم الصبيان ومن هذه الشروط: أن يكون حافظاً للقرآن الكريم، جيد الخط، عارفاً بالحساب (الجمع، والطرح، والضرب، والقسمة)، حافظاً لبعض الأحاديث النبوية وبعض من الشعر، وكذلك يجب أن يكون على معرفة جيدة بالنحو واللغة العربية[2].

ويحفظ معلم الكتَّابَ الطلبة القرآن الكريم وتعليمهم القراءة والكتابة، والخط مستخدماً الوسائل المتاحة والممكنة، وكذلك يعلمهم أصول العمليات الرياضية الأربع، وأيضاً يعلمهم الأشعار الخفيفة، والأحاديث النبوية التي تحث على مكارم الأخلاق الحميدة والفاضلة، وكيفية الوضوء، والصلاة، والطهارة وغيرها من المبادئ الأساسية التي يغرسها معلم الكتاب في أذهان الصبيان ليهيئهم لتلقي العلوم المختلفة في المراحل الآتية للتعليم، وما يقوم به معلم الكتاب يماثل إلى حد كبير الدور الذي يقوم به معلم المرحلة الابتدائية أو الأساسية من التعليم في الوقت الحاضر، من حيث تعليم الطلبة العلوم الأساسية التي تؤهلهم وتوجههم لتلقي العلوم المختلفة في المراحل الدراسية الآتية.

وكان التعليم في الكتَّابَ ممكناً لكل من وجد في نفسه القدرة على القيام به من تلقاء نفسه، فلم تكن هناك قواعد وقوانين تلزم من يرغب في التدريس في الكتَّابَ أن يكون حاصلاً على درجة معينة من العلم، فهذه المهنة ممكنة لكل من تؤهله قدراته العقلية والعلمية لممارستها، حيث كان المعلم يكتسب علمه عن طريق الاتصال الشخصي بالشيوخ والعلماء والفقهاء في المساجد أو على يد معلم خاص[3].

وأحياناً كان يقوم بمهمة تعليم الصبيان الآباء أو الأقرباء ممن يعتقد في نفسه الأهلية للقيام بهذه المهمة، الذين كانوا على درجة عالية من العلم، وكانوا حريصين كل الحرص على إفادة أبنائهم ومن يعولون أكثر من غيرهم، وخير دليل على ذلك أن معلم الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة وإخوانه كان والدهم حمزة بن سليمان الذي "ربى أولاده على الطهارة والعفة والمرابطة على التعليم والدراسة فكان له التبريز عليهم"[4]، وكذلك كان معلم الإمام المهدي أحمد بن الحسين هو عمه سليمان بن أحمد بن القاسم بعد أن توفي والده وهو ابن سبع سنين فكفله عمه فعني في تعليمه وتهذيبه وتأديبه، وكان ابتداؤه بالقرآن الكريم وهو ابن خمس سنين أو نحوها[5].

وقد بقي هذا النوع من التعليم بكثرة في المناطق التي انتشر فيها المذهب الزيدي، حيث كان المتطوعين من علماء الزيدية يحرصون على تعليم الناس صغيرهم وكبيرهم، لاسيما أن مذهبهم كان جديداً على أهل اليمن ولديهم رغبة في نشره بين الناس فيتوصلون بهذه الطريقة إلى ما يريدون من انتشار المذهب الزيدي بين الناس، ولاسيما في المناطق التي

[1] أحمد بن عبد الله الرازي (ت460هـ)، تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري وعبد الجبار زكار، ط (1)، بيروت، 1974م، ص35.
[2] محمد بن يوسف ين يعقوب الجندي، السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، ج (2)، شركة التنوير للطباعة والنشر، بيروت،1409هـ/1989م، ص3.
[3] حسن أحمد، مرجع سابق، ص157،158.
[4] إبراهيم الشهاري، مرجع سابق، ج1، ص 597.
[5] يحيى بن القاسم بن يحيى الحمزي، سيرة الإمام المهدي أحمد بن الحسين (ع)، مركز أهل البيت (ع) للدراسات الإسلامية، صعدة، (د.ت)، ص5.

كانوا يسيطرون عليها[1]، ويشار إلى أن مطرف بن شهاب رأس المطرفية دخل صنعاء لطلب العلم، فتعلم عند معلم بصنعاء[2]، وكان هناك المعلم الحسن بن أبي طالب الأبناوي[3]وغيرهم من معلمي الصبيان أو معلمي الكتَّابَ أو المعلامة في تلك المدة، ويمكن الإشارة هنا إلى أن المعلم المتخصص في تدريس فنِ واحد قد وجد بصورة أو بأخرى، وهو ما تدلنا عليه إشارات متعددة في بعض المصادر المتوافرة إلى معلم القرآن الكريم ومعلم الخط وغيرهما.

ب- المؤدبون:

يعتبر المؤدبون رديف لأولئك الذين يعلمون الصبيان باعتبار أن من يجلس بين أيديهم للتلقي هم الصبيان، غير أن ثمة مميزات تكمن في مؤهلات للمؤدبين والأوساط الاجتماعية التي ينتسب إليها طلبتهم، وكذلك في الأهداف التي يتوخى المؤدبون تحقيقها في أولئك الطلبة، فالمؤدب هو معلم بالدرجة الأولى إلا أن تميزه في الأداء والخبرة والسمعة والسلوك الحسن والحصيلة العلمية الكبيرة كل ذلك أهَّله إلى أن يختص بتعليم أبناء الخاصة من الحكام أو الأمراء أو رجال الدولة من الولاة والقادة أو التجار والوجاهات الاجتماعية والقبلية، وبالطبع تختلف أهداف التعلم عند أبناء هذه الشرائح عن من هو دونهم من الشرائح الاجتماعية، وإن كان هناك اتفاق في عدد لابأس به منها[4].

والمؤدبون هم الذين يعلمون أولاد الخاصة من الحكام والأمراء والأغنياء وغيرهم في منازلهم، وقد كانوا يختارون من بين المعلمين المشهورين بالعلم والنجابة ويتصفون بالخلق الحميد، حتى يعتنوا بأخلاق الصبيان وتأديبهم، كما كانوا يقومون بتعليمهم[5].

والمؤدبون هم معلمي صبيان في بداية أمرهم، ثم انتقلوا إلى معلمين للخاصة، وكانوا يأخذون الأجر على عملهم هذا، وقد مكنتهم مكانتهم وقربهم من أصحاب السلطان أن يكونوا ندماء أولئك الذين علموهم، ومن الممكن أن يصلوا إلى أن يتولوا بعض الأعمال لمن ربوهم صغاراَ حينما يصبحون ولاة للأمر[6].

وكان المؤدبون يختارون اختياراً من قبل الآباء وأولياء الأمور، وكان الآباء وأولياء الأمور يزودونهم بالنصائح والتوجيهات، ويحددون الأطر العامة للمناهج والسلوك الذي يريدون لأبنائهم سلوكها وتعلمها؛ وذلك لأهمية الدور الذين كانوا يقومون به، بتعليم أبنائهم، فعلي بن حرب معلم مطرف بن شهاب، أتى لأبن أخيه بأحد المؤدبين ونصحه بقوله:" إني قد أتيتك بغلام عاقل، فلا ترده لي مجنوناً، فلا تفزعه حتى يستشعر الخوف منك، فيشرده خوفك، فإنك متى فعلت ذلك لم آمن أن تعلمه فلا يفهم، أو تدعوه فلا يأمن أن تكون تريد به شراً، اغتنم أوقات نشاطه وإقباله إليك، ولا تتبع حالات ضيقه وفتوره، ولا تغلظ عليه عند زملائه"[7].

وكان المؤدبون يعلمون الصبيان القرآن الكريم والكتابة والخط والإملاء وعلوم أخرى كالأدب، ويعلمونهم حميد الصفات والأخلاق ويربونهم عليها،

[1] مسلم اللحجي، مرجع سابق، ص52، وعبد الرحمن الشجاع، الحياة العلمية، مرجع سابق، ص142.
[2] يحيى بن الحسين بن القاسم، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ج (1)، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1388هـ /1968م، ص183.
[3] الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (ت360هـ)، الإكليل، ج (2)، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، 2004م، ص196.
[4] عبد الغني الأهجري، الحياة العلمية في اليمن، مرجع سابق، ص365.
[5] محمود قمبر، دراسات تراثية في التربية الإسلامية، دار الثقافة، الدوحة، 1985م، ص113.
[6] عبد الرحمن الشجاع، مرجع سابق، ص142،143.
[7] مسلم اللحجي، مرجع سابق، ص95، وعبد الرحمن الشجاع، مرجع سابق، ص143.

مثل: التأدب مع الأخرين والصدق في الكلام والأمانة وغيرها من مكارم الأخلاق[1]، وقد حظوا باهتمام كبير من الآباء من حيث الرواتب والعطايا التي كانت تدفع لهم[2].

ولم يكن المؤدبون يعلمون القرآن الكريم والأدب واللغة وآدابها فقط وإنما كانوا يعلمون الصبيان علوماً أخرى تشمل قواعد الأخلاق والسلوك، وما ينبغي للملوك والأمراء والحكام من علوم السياسة والفروسية وآداب الحديث والخطابة[3]، ولمكانة المؤدبين العلمية ونبوغهم وشهرتهم ولعظم الدور الذي يقومون به فقد كان الآباء يحترمونهم، كما كان ينظر إلى تأديب أبناء الخاصة على أنه عمل عظيم يكسب صاحبه فخراً وإجلالاً ورفعة لشأن المؤدب، كما كان له مكانة أدبية في المجتمع[4].

أما حالتهم المادية فمن البديهي إدراك أن الأحوال المادية والمعيشية للمؤدبين كانت أفضل حالاً مما هو عليه عند معلمي الصبيان في الكتَّاتيب أو المعلامات؛ نظراً لما يغدقه عليهم آباء تلامذتهم من العطاء لقاء جهدهم أو الهدايا عند الشعور بالتحسن في مستوى تحصيل الأبناء، ولذلك فقد حظي المؤدبون بسعة في الرزق والغنى، والمكانة الاجتماعية الرفيعة والرخاء في المعيشة، وكان ذلك بمثابة افتتاح باب الخير والرزق على من يتم اختياره مؤدباً[5].

ج- العلماء:

العلماء هم من كان لهم دور ومكانة في المجتمع وتأثير علمي واجتماعي وسياسي، وهم مدرسو المراحل العليا، ونظراً للأدوار العلمية والاجتماعية والسياسية التي كانوا يمارسونها فقد تمتعت هذه الطائفة بالإجلال والاحترام والتقدير بين أفراد وطبقات المجتمع اليمني كافة، حيث كان لهم دور بارز في توجيه أفراد المجتمع للقيام بواجباتهم على أكمل وجه، وكذا النصح للحكام، ومقارعة الطغاة منهم، وأيضاً القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والعلماء هم الأساتذة المتخصصون الذين يدرسون علم أو أكثر من العلوم الدينية كالتفسير، أو الحديث، أو الفقه، أو تدريس علم من العلوم اللغوية كالنحو أو الأدب، ويطلق عليهم لقب الشيوخ أو العلماء أو الفقهاء[6].

وقد حاز العلماء أو الفقهاء أو المشايخ مكانة رفيعة في أوساط المجتمع، وكان لهم أهمية كبيرة في المؤسسات التعليمية في الدولة الزيدية الثانية، وذلك من خلال طبيعة المهام والمسؤوليات، التي كانت تقع على عاتقهم فقد كانوا أعمدة العملية التعليمية كاملةً، وأن المدرسة أو الهجرة العلمية لم تكن تكتسب سمعتها وتتجه نحوها أنظار طلبة العلم في المناطق الأخرى إلا بسبب المكانة العلمية التي يتمتع بها عالمها أو فقيهها أو شيخها[7].

نخلص إلى القول: أن مصطلح (العلامة أو الفقيه أو شيخ العلم) لا تقتضي اقتصار حامليها على فرع من العلوم، بل إنه كان لصيقاً بمعظم علماء اليمن في قرون تاريخها الإسلامي، وأن هؤلاء العلماء أو

[1] محمد عطية الأبراشي، التربية الإسلامية وفلاسفتها، ط(2)، مكتبة عيسى حلبي، 1969م، ص146.
[2] المرجع السابق، ج2، ص47.
[3] علي بن الحسن بن أبي بكر الحسن الخزرجي (ت812هـ)، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، ج1، دار الآداب، بيروت، 1403هـ/1983م، ص234.
[4] محمد الجندي، مرجع سابق، ج2، ص292، ومحمد الأبراشي، مرجع سابق، ص113، وسعيد إسماعيل علي، تاريخ التربية والتعليم، عالم الكتب، القاهرة، 1985م، ص121.
[5] أحمد شلبي، مرجع سابق، ص241.
[6] محمود قمبر، مرجع سابق، ص111،113،115.
[7] عبد الغني الاهجري، مرجع سابق، ص369.

الفقهاء أو المشايخ كانوا مبرزين في فروع العلوم الشرعية والدينية المختلفة.

ويمكن تقسيم العلماء إلى قسمين:

أ-علماء لم يتفرغوا للتعليم:

لم يكن هذا النوع من العلماء يتفرغوا للتعليم والتدريس، بل كان تدريسهم عارضاً أو يأتي ذلك من كون العالم في مكان الصدارة من الدولة، فبحكم مكانته كان يُعلَّم ما يرى أن الناس في حاجة إليه، ويأتي في مقدمة هؤلاء العلماء الذين لم يتفرغوا للتدريس نظراً لانشغالهم بالحكم وبأمور الدولة الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان والإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة والإمام المهدي أحمد بن الحسين، فقد كان تعليمهم للناس وهم يخطبون أو يفتون أو يحكمون أو من خلال قراءة كتبهم ورسائلهم وإجاباتهم على المسائل التي كانت تعرض لهم وإجازاتهم لذلك[1]، ومن هذا النوع من لم يكن تعليمه عارضاً ولا كان مشغولاً بالحكم، إلا أنه لم يكن لديه حلقات علمية دائمة ولم يكن التعليم وظيفته[2].

ب-علماء تفرغوا للتعليم والتدريس:

وهؤلاء العلماء تفرغوا كلياً للتعليم والتدريس وإقامة الحلقات العلمية الدائمة، رافضين أي عمل آخر أو منصب أو أي إغراء من إغراءات المال أو الجاه أو السلطان، خوفاً من التقصير في أداء واجبهم العلمي، على اعتبار أن مهمتهم في هذه الحياة الدنيا هي نشر العلوم الشرعية بين المسلمين لتقوية إيمانهم وعقيدتهم ولا يشغلهم في عملهم أي شيء آخر؛ لذلك كان لهم أتباع ومريدين يأتون إليهم من كل مكان[3]، ومن أبرز العلماء في الدولة الزيدية الثانية:

- الإمام الفقيه زيد بن الحسن بن علي البيهقي (ت بعد 551هـ/1156م) الواصل من العراق إلى مدينة صعدة سنة 540هـ، الذي كان يعقد حلقة دائمة لإملاء الحديث في جامع الإمام الهادي بصعدة في كل يوم خميس وجمعة واستمر على ذلك مدة سنتين ونصف[4]، وكان من أشهر طلبته الفقيه سليمان بن شاور والفقيه عبد الله بن أبي النجم[5].
- القاضي جعفر بن أحمد بن عبد السلام (ت573هـ/1177م) الذي كان له مدرسة بهجرة سَنَاع ولم يزل يدرس فيها حتى توفي بها[6].
- العلامة الشيخ الحسن بن محمد الرصاص (ت548هـ/1153م) كانت له حلقة دائمة، وكان يأتيه طلبة العلم الزيدية من مناطق شتى، وكان ممن درس عل يده الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة الذي قرأ عليه علم الكلام وأصول الفقه وفروعه والأخبار المأثورة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم[7].
- العلامة يحيى بن الحسين بن عبد الله البحيري (ت577هـ/1181م) الذي كان له حلقات دائمة للتدريس على مذهب الإمام الهادي، وقد ظل يعلّم ويتعلم حتى توفي بمنزله بهجرة وقش[8].
- القاضي العلامة عبد الله بن زيد بن أحمد بن أبي الخير العنسي (ت667هـ) الذي عاصر الإمام

[1] عبد الرحمن الشجاع، مرجع سابق، ص144.
[2] الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (ت360هـ)، الإكليل، ج(1)، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1397هـ/1977م، ص42،43، وعبد الرحمن الشجاع، مرجع سابق، ص144.
[3] أحمد الرازي، مرجع سابق، ص235.
[4] إبراهيم الشهاري، مرجع سابق، ج1، ص447.
[5] المرجع السابق، ج1، ص447.
[6] نفسه، ج1، ص277،278.
[7] نفسه، ج1، ص597.
[8] يحيى بن القاسم، طبقات الزيدية الصغرى، مرجع سابق، ص90، وإبراهيم الشهاري، مرجع سابق، ج3، ص1222حاشية رقم 3.

المهدي أحمد بن الحسين وبعثه إلى صعدة سنة 654هـ ثم خرج إلى خولان سنة 656هـ عام استشهاد الإمام المهدي فأقام بفلله ودرَّس ونشر العلم هناك وتوفي سنة 659هـ[1].

- الإمام الداعي يحيى بن محمد السراجي (ت690هـ) الذي أقام حلقات دائمة وعكف على التدريس بمسجد الأجذم ويعرف الآن بمسجد الوشلي بصنعاء حتى توفي سنة 696هـ بعد أن تم كحل عينيه من قبل الأمير علم الدين الشعبي بصنعاء[2]، وقيل إنه عكف على التدريس في جامع صنعاء لمدة تزيد على ثلاثين سنة وكل ذلك من حفظه السابق[3]، وغيرهم كثير.

2- الأوضاع المالية للعلماء:

كان التعليم في المراحل العليا أمراً طوعياً راجعاً إلى قناعة العلماء بنشر العلم وتعليمه، وبحسب قدراتهم المالية واستعداداتهم العلمية والنفسية، الأمر الذي أدى إلى تباين أحوال العلماء المالية، فكان منهم الأغنياء الميسورين الذين ورثوا الأموال عن أهلهم ومنهم ميسور الحال ومنهم من اعتمد على المرتبات التي كانت تدفع لهم من بيت المال، كما أن الشواهد تدل بوضوح على أنهم لم يسعوا يوماً للتكسب من علمهم وعرضه على من يدفع لهم، وأنهم بذلوه لكل طالبٍ له، بل وبذل عددٌ كبيرٌ منهم زهرة أموالهم لطلبتهم عن طيب خاطر محتسبينه عند الله تعالى.

ومن الملحوظ -أيضاً- أن الفقر كان له وجود قوي في حياة كثير من العلماء والفقهاء والمشايخ في الدولة الزيدية الثانية، ويبدوا أن مرد ذلك إلى زهدهم وتورعهم من الإيغال في التقرب إلى الحكام والأمراء وغيرهم، وكثرة انهماكهم في العلم تدريساً وتحصيلاً وتأليفاً، بل أن هناك فئة منهم قد نذرت نفسها لتدريس العلم بشكل كامل حتى قاربوا ما يمكن أن نسميه-بلغة عصرنا-التفرغ العلمي، لاسيما أولئك الذين انقطعوا للتعليم بطلب من مؤسسي المدارس العلمية كالحكام أو الواقفين الذين وفروا لهم ما يكفيهم لتغطية تكاليف معيشتهم.

وكان أغلب العلماء لاسيما في المراحل العليا همهم الأول الأجر والثواب من الله تعالى؛ لذلك فقد عملوا مثل غيرهم في مجالات مختلفة لتوفير ما يكفيهم وأسرهم، وقد تعددت أعمالهم فمنهم من مارس الزراعة، والبعض مارس التجارة، وآخر مارس الأعمال الحرفية كالحياكة وغيرها من المهن والحرف التي كانوا يقتاتون منها، ويصرفون منها على أسرهم وعلى طلبتهم في بعض الأوقات.

وقد حرص الكثير من علماء الزيدية العاملين بالتدريس والتعليم أن يكون لهم عمل يقتاتون منه ويوفرون من أجره حاجياتهم اليومية، فعملوا بالزراعة والحرف المختلفة إلى جانب قيامهم بالتدريس والتعليم وتحفيظ القرآن، فهذا أحد شيوخ الزيدية ويدعى المغيث كان يسكن صنعاء ويعلم بها وكان له بداره خدم يدبغون الجلود فكان يصيب من ذلك ويتَّجر، وكانت صدقاته أمثالاً سائرة[4]، أما الشيخ علي بن حرب من مشائخ المطرفية فقد حرص على أن يبني له منزلاً بجانب أرض زراعية حتى يقوم بزراعتها والاهتمام بها والإشراف عليها[5]، وكان بعض العلماء مثل إبراهيم بن

[1] إبراهيم الشهاري، مرجع سابق، ج2، ص612.
[2] المرجع السابق، ج3، ص1253.
[3] محمد بن علي الزحيف ابن فند (ت916هـ/1510م)، مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار ويسمى اللواحق الندية بالحدائق الوردية (شرح بسامة السيد صارم الدين الوزير)، تحقيق: عبد السلام بن عباس الوجيه وخالد قاسم محمد المتوكل، ط (1)، ج (2)، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمّان، 1423هـ/2002م، ص966.
[4] مسلم اللحجي، مرجع سابق، ص22،23.
[5] المرجع السابق، ص86،87.

علي الضامي، وهو من شيوخ الزيدية لا يتوانى من أن يؤجر نفسه حارساً في بعض المزارع حتى يحصل على ما يكفيه[1]، وقد تحمل هؤلاء العلماء وغيرهم المسئولية في نشر التعاليم السمحة للإسلام والتحلي بالصفات الحميدة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليكونوا قدوة بين الناس[2].

وكان هناك الأغنياء الذين لم تكن أموالهم تعينهم على معيشتهم فحسب، بل تعدت لتعم الإنفاق على طلبة آخرين ومساعدة المحتاجين منهم أمثال مطرف بن شهاب الذي كان ينفق على نهد بن الصباح[3]، وكان بعضهم يدرس أول الليل، ثم يقوم بالعمل ليكسب آخر الليل ليصرفه على طلبته[4]، وأيضاً كان منهم من يعمل في أعمال يكتسب منها ولا تشغله تلك الأعمال عن تحصيله العلمي، فكان منهم من يعملون بالتجارة وهي تؤهلهم للاختلاط بالناس والأخذ والعطاء، مثل علي بن حرب الذي اشتغل بالتجارة وكان ينفق على طلبته من ماله، وإذا بلغه أن نفقتهم انتهت وليس معه شيء سعى لدى أصحابه ومعارفه فيأخذ منهم وينفقها على المتعلمين[5].

وفي قرية قاعة كان عليان بن إبراهيم أحد علماء المطرفية دائم التفقد لطلبته ويطعمهم ويعطيهم أغطية من البرد، وفي فضل هذا الشيخ يقول أحدهم: ما ثقل علينا التعليم في الهجرة إلا لفقد عليان، كنا لا نجد معه الغربة عن الأهل ولا فقد الدار والمال–فقد–فقدوا ما عودهم من البر الزائد والنفقة والإكرام فلم يرضوا بغيره[6].

وبعض منهم كان يعمل في الوراقة وبيع الكتب وكتابتها وتجليدها، وهي مهنة لا يخفى أثرها العلمي على صاحبها، من أمثال محمد بن سليمان الهرثمي الذي كان يعمل في كتابة المصاحف ونسخ الدفاتر، كما أن الحسن بن محمد بن دانه من أهل صعدة كان وراقاً كاتباً للدفاتر[7].

كما أن بعضهم–وهم قليل–اعتمدوا على الجرايات التي كانت تجري عليهم من بيت مال المسلمين، وهذه كانت تعطى لمن تولوا بعض الأعمال في الدولة مثل الكتابة في الديوان أو القضاء أو الولاية على بعض المدن وبتعيين من قبل الحكام[8]، وهذا كله سأتعرض له عند الحديث عن دور العلماء في المجتمع ولكن تم الإشارة إليه هنا لمعرفة الأحوال الاجتماعية والمادية للعلماء ومصادر معيشتهم كون الاعمال والحرف من المظاهر الاجتماعية، التي تعبر عن حالة أي فئة في المجتمع.

3–العلاقات الاجتماعية–تأثير العلماء في المجتمع وعلاقاتهم بالأخرين:

بالرغم من انشغال العلماء–مع طلبتهم–في معظم الأوقات في بذل وطلب العلم وارتياد مجالسه وحلقاته المختلفة، ثم انشغال الكثير منهم بالتصنيف والقراءة والمتابعة، إلا أن كل ذلك لم يكن حائلاً دون اتصالهم بالمجتمع من حولهم والسعي في كسب رزقهم ومعاشهم، ثم اهتماماتهم الأسرية والاجتماعية هي الأخرى لم تكن لتغيب عن بالهم، ومن ثم فإن حياة العلماء بشكل عام لاسيما الاجتماعية كانت تتصف بصفة الزهد والورع–وإن كانوا أغنياء–الورع الحقيقي

[1] نفسه، ص22،23.
[2] نفسه، ص89،90.
[3] نفسه، ص12.
[4] نفسه، ص105.
[5] نفسه، ص97.
[6] نفسه، الصفحة نفسها.
[7] نفسه، ص193، ويحيى بن القاسم، طبقات الزيدية، مرجع سابق، ص74.
[8] إبراهيم الشهاري، مرجع سابق، ج1، ص480، وج2، ص998،999، وأحمد الرازي، مرجع سابق، ص158،159،234.

الذي لم يقعد بأي أحدٍ منهم–كما أسلفنا–عن كسب رزقه من خلال أي حرفة مناسبة، مما أدى إلى احترام المجتمع لهم وحصولهم على مكانة عالية بين أفراده.

ومن جانب آخر –أيضًا– لم تكن الاهتمامات العلمية لتمنع العلماء عن إقامة علاقات اجتماعية بالآخرين، مثل علاقتهم بعضهم ببعض ثم بطلبتهم ثم بالحكام (الأئمة والأمراء والوزراء ...) ثم أخيراً دورهم في المجتمع وذلك من خلال توليهم لمناصب القضاء وغيره مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتلمس هموم الناس وقضاء حوائجهم؛ ولذلك فإني في هذا الجزء سوف أتناول هذه العلاقات الاجتماعية في حياة حملة العلم (العلماء):

أ– علاقة العلماء بعضهم ببعض:

تميزت العلاقة بين العلماء بالمحبة والألفة والمودة والصحبة والاحترام والتقدير والتعاون نظراً لما يحملونه بين جوانحهم من مبادئ وقيم رفيعة هي أقرب ما تكون إلى أخلاق النبوة الكريمة لأنهم ورثة الأنبياء، ولأن ديننا الإسلامي الحنيف يدعو إلى ذلك التعاون والإخاء، وإلى التحلي بكل خلق حسن وهؤلاء هم قدوة الأمة والمجتمعات، ومن باب أولى أن يطبقوا ما يدعون إليه وما يتكلمون عنه وما يعلمونه للناس من التحلي بكل خلق كريم دعا وحث عليه الإسلام، ولأنه لا يوجد ما يوجب الكراهية، فهدفهم جميعاً هو نشر العلم وتعليمه للناس لتعم الفائدة والخير على المجتمع بأكمله وليناالوا خير الدنيا ونعيم الآخرة.

وأول ما نلمسه في هذا المجال هو ذلك الاحترام المتبادل فيما بينهم والاعتراف بالفضل لبعضهم البعض، ومن أمثلة ذلك أن الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة تكلم بكلام وأوصى بحكم فاستنكره الفقيه عمران بن الحسن وهو أحد مشائخه، فقال الإمام: أنت رويت لي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كذا وكذا، وساق الحديث فاعتذر الفقيه عمران وقال: "رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه"[1]، وكذلك أن الإمام عبد الله بن حمزة كان يذكر الإمام المتوكل أحمد بن سليمان والقاضي جعفر بن عبد السلام ويحتج بكلامهما إنصافاً لهما ولفضلهما فيقول: "قال الإمام والعالم، أفتى بذلك الإمام والعالم، ذكر الإمام والعالم"[2]، وكذلك قول الإمام عبد الله بن حمزة كلاماً فيه تزكية للإمام المعتضد بالله يحيى بن المحسن ومن ذلك: "مع الداعي–أي الإمام المعتضد بالله–علم أربعة أئمة"[3]، وأيضاً قوله: "مع الداعي علوم لا يحتاج إليها إلا إمام"[4].

ولقد كانت مظاهر المحبة والألفة تتعمق فيما بين العلماء عند صحبتهم لبعضهم أثناء الرحلات العلمية أو السفر للحج وغالباً ما كانت الرفقة تتم بين اثنين فالقاضي جعفر بن أحمد بن عبد السلام رافق الفقيه زيد بن الحسن البيهقي عندما أراد الفقيه زيد الرجوع إلى العراق وذلك للتفقه بمذهب الزيدية وعلومهم، فمات الفقيه زيد بن الحسن البيهقي وهما في الطريق بتهامة ودفن هناك، وأما القاضي جعفر بن عبد السلام فواصل رحلته لطلب العلم إلى العراق[5].

ولم تكن العلاقة بين العلماء تقتصر على ما ذكرنا بل كانت أكبر من ذلك حيث كان يعتمد كل منهم على الآخر في أموره المهمة والسعي في قضاء حوائجه ولو لم يطلب منه ذلك، وكذلك كان البعض منهم ينفقون على إخوانهم، بل ويطلب أحدهم من أخيه

[1] إبراهيم الشهاري، مرجع سابق، ج1، ص605.
[2] المرجع السابق، ج1، ص277.
[3] محمد بن فند، مرجع سابق، ج2، ص841.
[4] إبراهيم الشهاري، مرجع سابق، ج3، ص1251.
[5] المرجع السابق، ج1، ص274.

أن يأخذ من ماله متى يشاء، فيذكر أن أبو العشيرة بن رزام–كان معاصراً لعلي بن حرب أحد شيوخ الزيدية المطرفية–كان يطلب من عليان بن إبراهيم أن يأكل من مزرعته ما يشاء ويعطي الفقراء[1]، وأيضاً كان يحيى بن عبد الله البحيري الذي يسكن بهجرة سناع قد نزل بإخوانه ضيفًا وبحثوا عن شاة أو كبشاً فلم يجدوا فعند ذلك أتوا الراعي الذي يرعى ليحيى البحيري–وكان غائباً عن القرية–فأخذوا حاجتهم واكرموا ضيفهم وكان في نفس بعضهم شيئاً من ذلك، فلما رجع أخبروه "فأشتد سروراً بذلك وقال: لو لم تفعلوا هذا ما كنتم عندي رجال ولا كنتم إخوة صادقين"[2].

وفي بعض الأحيان كانت علاقة العلماء ببعضهم تصل إلى أكثر من ذلك عندما يرغب بعضهم في مصاهرة أخيه أو تزويج ولده، ولم يكن الدافع لهم للمصاهرة هو تلك العلاقة التي بينهم وكفى، وإنما كان الهدف الأول هو أن يضع أحدهم ابنته في بيت رجل عامر بالإيمان والخوف من الله تعالى، حتى إذا أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها وفي نفس الوقت حرص الزوج أو والده على أن يختار المرأة التي تربي أولاده على طاعة الله، فالمسئولية على الجميع وهم مأمورين بذلك قبل غيرهم، ولذلك نجد أحد العلماء من شيوخ الزيدية ويدعى يحيى الحداد وكان من الأغنياء[3] يعرض على زميله عليان بن إبراهيم ابنته ويقول له: "يا عليان، لي ابنه أشتهيها لك وأشتهيك لها فقد رضيت أخلاقك ومذاهبك، ولا تحسب أني عرضتها عليك لقبح في صورتها أو رقه في أذنيها أو وسخ في أخلاقها، هي كما يسرك إن شاء الله، قال عليان: فقلت أني لا أصلح هذا لهذا لأن معي امرأة–زوجة–وأنا فقير، قال: ليس هذا مما ينكر منك من أجله؛ لأن غرضنا منك أن تنجي هذه معك من النار ليس غرضنا الفقر ولا الغنى، قلت: فليس معي لها شيء أحضره، قال: عندي الدار والحاضر–أي نفقة العرس تقريباً–فأجبته إلى ذلك، فدخل إلى أهله وأمرهم بتجهيزها لآخر نهارها، وأمر بشاة فذُبحت، وأمر بطعام فصُنع، ودعاني ودعا رجالاً من المسلمين فأكلنا وعقد لي بالنكاح، ثم أُدخِلت إليها فرأيت امرأة حسناء وداراً جيدة، ثم سلمت فردت السلام وأحسنت الترحيب بي، ثم قالت: لا تستثقل مؤنتي مع امرأتك فربما يكون اثنتين أخف من واحدة، قال: فاستحسنت ذلك منها"[4]، وهكذا نرى حرص العلماء والفقهاء على توثيق علاقاتهم بإخوانهم عن طريق المصاهرة وغيرها، الأمر الذي أدى إلى استمرار الفقه والعلم في أولادهم وذريتهم وعرف ما يسمى بالأسر العلمية.

ومما لا شك فيه أن التنافس والتحاسد قد انتاب نفوس عدد يسير من العلماء منذ عصر الصحابة، ويدخل ذلك ضمن ما يسميه العلماء بالتنافس بين الأقران، وهذا لا يؤخذ به في الغالب، لاسيما أن النفس البشرية ليست معصومة من ذلك، وقد يكون السبب هو التنافس على المناصب في الدولة[5]، أما صلات المودة والصحبة فهي كثيرة بين العلماء الزيدية وغيرهم من العلماء في المذاهب الأخرى، على الرغم من وجود الخلاف المذهبي على أمور فرعية فقهية أو غيرها، ولكن الود والاحترام والتقدير المتبادل كان موجود بينهم[6].

[1] محمد الجندي، مرجع سابق، ج1، ص223.
[2] مسلم اللحجي، مرجع سابق، ص239.
[3] المرجع السابق، ص269.
[4] نفسه، ص270،271.
[5] محمد بن علي الأكوع، الوثائق السياسية اليمنية من قبل الإسلام إلى 332هـ، دار الحرية، ط (1)، بغداد، 1976م، ص267،276.
[6] عبد الرحمن الشجاع، مرجع سابق، ص148.

ب- علاقة العلماء بالمجتمع:

كان للعلماء مركز الصدارة من الأحداث والقضايا التي تشغل المجتمع عامة، باعتبارهم جزء أساسي من المجتمع، فهم نخبته وزبدته وعصارة فكره، علاوة على النظرة الرفيعة التي يتمتعون بها من قبل المجتمع، فلا غرابة أن يكون العلماء القوة المؤثرة في التحولات الجارية في المجتمع، لأنهم من يملكون التأثير الفكري الذي يمكنه من التأثير في كافة المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغير ذلك من المجالات.

ولذلك فالعلاقة بين العلماء وأفراد مجتمعهم كانت متينة يسودها العطف ومساعدة ذوي الحاجات من جانب العلماء، والطاعة والاحترام وبذل الأموال بل وصل في بعض الأحيان إلى التقديس إلى جانب المساعدة والحماية، كما حصل مع العالم الزيدي أحمد بن موسى الطبرى عندما أراد إقامة حلقاته العلمية ومناظراته في جامع صنعاء، فلم يستطع ذلك إلا بمساعدة أمير صنعاء في تلك المدة، ومن ثم كان الناس يقصدونهم فيما يعرض لهم من مشاكل الحياة وأمور الدين؛ لذا فقد نالوا من مواطنيهم الحب والتقدير وأعانوهم مادياً وأكرموا طلبتهم وبذلوا الأموال الطائلة ليتفرغ هؤلاء العلماء وطلبتهم للدراسة والتعليم، كما احترموا منازلهم وما يملكون التي لم تكن تمس بأذى حتى في المناطق التي كانت تشتهر بالصراع والنزاع بين القبائل[1].

ومن مظاهر الاحترام والحب للعلماء دعوة الناس لهم ورغبتهم في السكن بين أظهرهم[2]، وإظهار الفرح والسرور حين قدومهم إليهم واستبشارهم بذلك، فهذا الشيخ إبراهيم بن أبي الهيثم عندما انتقل من هجرة سناع إلى قرية مدَر من مشرق حاشد، وابتنى بها منزلاً فرح به الناس وظل مقيماً بينهم حتى بلغه أن قوماً شربوا الخمر فكره الجلوس بينهم ورحل عنهم[3].

كما أن الكثير من العامة في بعض مناطق الزيدية-في زمن الدراسة-كانوا يثقون في العلماء فيدفعون إليهم زكاة أموالهم، ومن ثم يقوم هؤلاء العلماء أولاً بتوزيها في المناطق نفسها التي تؤخذ من أهلها وما فضل منها يوزع على طلبة العلم[4].

ج- علاقة العلماء بالحكام:

تختلف علاقة العلماء بالحكام الأئمة والأمراء عن علاقتهم بعضهم ببعض أو بطلبتهم القائمة على تلقي العلم وتعليمه، ومن ثم يمكن تقسيم العلماء من حيث العلاقة المتبادلة بينهم وبين الحكام إلى ثلاث فئات:

الفئة الأولى: هم العلماء الذين تميزوا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمجاهرة بكلمة الحق أمام الحكام واعتزال مجالس الحكام إن رأوا منكراً منهم ولم يقدروا أن يغيروه، فهؤلاء تفرغوا للعلم والتعليم، وعزفوا عن مشاركة الحكام في أمور السياسة والدولة، مجتهدين في طلب العلم وتحصيله وتوصيله إلى طلبته، منتهزين للفرص بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أمثال الفقيه عطية بن محي الدين محمد النجراني، الذي اعترض وانتقد ونصح الإمام المهدي أحمد بن الحسين في عدد من الأمور، وبعث له برسالة يحذره فيها من تولية الناقص غير المشهود له بالكفاءة، واشتراط الكفاية والدين في الوالي، وأنه لا يجوز تولية والٍ في المسلمين من هو خير منه، وكذلك قضية التفاوت في الرواتب بين الجند وغيرها من

[1] أحمد بن أحمد عبد اللطيف الشرجي (ت893هـ)، طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، 1406هـ/1986م، ص79،215.

[2] محمد الجندي، مرجع سابق، ج1، ص240،241.

[3] مسلم اللحجي، مرجع سابق، ص85.

[4] المرجع السابق، ص248.

المسائل[1]، وكذا ما وقع في أموال وأملاك الشيخ ابن زيدان في صعدة من الاستهلاك والمصادرة والتخريب[2]، وأيضاً عدم جواز أخذ المعونة من المسلمين وأن ذلك يشكل مشقة وأعباء مالية إضافية عليهم[3].

الفئة الثانية: هم العلماء الذين عملوا على الاندماج مع الحكام وتولوا المناصب، وحاولوا الإصلاح في المجتمع من خلال حكمهم وتوليهم المناصب، وفي مقدمة هؤلاء القضاة وأصحاب ديوان المظالم والحسبة، الذين كان لهم دور كبير في معالجة كثير من القضايا، وإصلاح ما يمكن إصلاحه وتعليم ما يمكن تعليمه، ومنهم العلامة الفرضي الشيخ الفضل بن أبي السعد العصيفري، الذي كان معاصراً للإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة وكان الشيخ الفضل من أشهر العلماء باليمن في الفرائض، وقد طلب منه الإمام تأليف كتاب في علم الفرائض، ويقال: إنه في عشرة أجزاء[4] وغيره من العلماء والفقهاء والقضاة الذين كان لهم دور بارز في بناء الدولة إلى جانب الحكام والأمراء، وكان لهم دور في مناصحة الحكام وتبصيرهم بالصائب من الأقوال والأفعال لما فيه مصلحة العامة.

أما الفئة الثالثة: فهم أولئك العلماء الذين جروا بعد مصالحهم الدنيوية وعملوا على تنميتها، بغض النظر عما يحملونه من علم يأمرهم بخلاف ذلك، ومثل هؤلاء ممكن أن يوجدوا في كل زمان ومكان ولكن بنسب قليلة جداً، وهي صور تمارس في أي قت[5].

-دور العلماء في المجتمع والدفاع عنه:

لا نبالغ إذا قلنا بأن دور العلماء في المجتمع لا يقل أهمية عن دور الحكام (ولاة الأمر) لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "صنفان من أمتي إذا صلحا صلحت الأمة وإذا فسدا فسدت الأمة: السلطان والعلماء"[6]، ومن ثم فإن العلماء-ولا شك-كانوا مدركين لعظم المسئولية الملقاة على عاتقهم ولأهمية الأمانة التي حملوها، ولأجل ذلك كانوا يسعون جاهدين مستعينين بالله تعالى إلى القيام بواجبهم وبذل أقصى ما في وسعهم حتى يُعذَروا بين يدي ربهم يوم القيامة، ومن هنا كانت أهمية هذه الفئة-العلماء-في أن تتوافق أفعالهم مع أقوالهم حتى يكونوا القدوة لغيرهم ومن ثم فإن علماء الزيدية خلال الحقبة الزمنية للدراسة ومن خلال المعلومات، التي امدتنا بها المصادر كانت لهم مشاركة فاعلة في الكثير من قضايا المجتمع وهموم المعيشة، ومن أبرزها القضايا الآتية:

1. دور العلماء في الجهاد ومقاومة المذهب الإسماعيلي الباطني والخارجي:

كان الجهاد هو غاية العلماء في صدر الإسلام، وكان العالم يؤمن أنه لا يكتمل دينه إلا إذا اشترك في الجهاد، انطلاقاً من حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: "من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق"[7].

[1] أحمد بن الحسين الإمام المهدي (ت656هـ/1259م)، مجموع رسائل، تحقيق: عبد الكريم أحمد جدبان، ط(1)، منشورات مكتبة التراث الإسلامي، صعدة، 1424هـ/2003م، ص128، 164، 176.
[2] أحمد بن الحسين، مرجع سابق، ص158.
[3] المرجع السابق، ص196.
[4] يحيى بن القاسم، مرجع سابق، ص140، وعبد الملك بن أحمد بن قاسم حميد الدين، الروض الأغن في معرفة المؤلفين باليمن ومصنفاتهم في كل فن، ط(1)، ج(2)، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1415هـ، ص152.
[5] عبد الرحمن الشجاع، مرجع سابق، ص148.
[6] يوسف بن عبد الله ابن عبد البر (ت463هـ/1070م)، جامع بيان العلم وفضله، تعليق: محمد عبد القادر عطا، ط (2)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1997م، باب (ذم العالم على مداخلته السلطان الظالم) حديث رقم (1109).
[7] مسلم، شرح صحيح مسلم للنووي، ج13، ص56.

وقد عادت صفة الجهاد إلى الظهور حينما دخلت الدعوة الزيدية إلى اليمن، بدخول الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، فلقد جددت شباب بعض العلماء وانخرطوا تحت لواء شعار الزيدية، ولهذا نجد أن معظم العلماء الذين جاهدوا أو قاتلوا في اليمن كانوا من علماء الزيدية القادمين إلى اليمن.

ولقد كان لعلماء الزيدية الهادوية دور فاعل في مقاومة المذهب الإسماعيلي ومذهب الخوارج وذلك بالفكر والدعوة ونصح الناس وأحياناً بالاستعانة بالحكام، ومن الأمثلة على ذلك جهود العلامة إبراهيم بن علي الطامي الذي كان له الأثر الكبير في إخراج أهل شظب من مذهب الإباضية–الخوارج–إلى مذهب الزيدية الهادوية[1]، وأيضاً الدور الفاعل في مقاومة الإباضية الذي قام به العلامة حمزة بن سليمان والد الإمام عبد الله بن حمزة الذي خرج من بلدته بهجرة معين إلى مبين حجة وكانوا أيضاً على مذهب الإباضية وظل مقيماً بينهم فأحسن سياستهم وتقريبهم حتى أعادهم إلى مذهب الزيدية الهادوية[2].

ومن مظاهر هذا الدور ما قام به الإمام المهدي أحمد بن الحسين يوم أرسل دعوته إلى التهائم والبلاد الشافعية في المغارب من المخلافة[3] ولاعتين وحراز[4] وملحان وتلك النواحي[5]، ووصول الفقيه نجيب الدين سليمان بن محمد الشاوري في جماعة من علماء الشافعية إليه لمبايعته واعتقاد مذهب أهل العدل والتخلي عن المذهب الشافعي[6]، والكتاب الذي أرسله الإمام المهدي أحمد بن الحسين إلى الشيخ أبي الغيث بن جميل الملقب بشمس الشموس في تهامة، طمعاً في ميله إلى الإمام، ومن ثَمَّ ميل أهل تهامة من خلفه، لأن هذا الشيخ مسموع القول هناك، مقبول الإشارة كما بلغ الإمام، ولكن رد الشيخ على الكتاب كان مخيباً لآمال الإمام المهدي، وتعلل له بقلة الفراغ والانشغال بالعلم[7].

2. دور العلماء في تولي مناصب القضاء والمظالم والحسبة:

من أبرز نتائج التعليم في المرحلة العليا تخريج العلماء العاملين والقضاة العادلين؛ لذلك تذكر المصادر أعداداً كثيرة من العلماء الذين عملوا في مجال القضاء وتفرغوا له، وبعضهم إمامة المساجد، وبعضهم–وهم قلة–مناصب إدارية أخرى، ولكن الغالبية العظمى من العلماء كانوا يشتغلون بالقضاء: ومنهم في مدينة صنعاء القاضي الفقيه العلامة مفرح بن مسعود قاضي الشريعة المطهرة بمدينة صنعاء وكان يقضي بها للإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة، فأقام بها الجُمَع، وأزال ظاهرة الفساد والبدع، وأقام الحد على شرب الخمر بعد إهراق ما وجد منه حتى أنه حد أربعين في أيام قليلة ممن شرب الخمر، وحبس الفواسد من النساء الموقفات لذلك وزوج طائفة منهن، وأزال معظم المنكرات، وهابه أهل الفساد، وأنفذ

[1] يحيى بن القاسم، مرجع سابق، ص91، ومحمد عبده محمد السروري (الدكتور)، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة من سنة (429-626هـ)، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 1425هـ/2004م، ص635.

[2] يحيى بن القاسم، مرجع سابق، ص91، وإبراهيم الشهاري، مرجع سابق، ج1، ص409، وأحمد بن صالح بن أبي الرجال، مطلع البدور ومجمع البحور، تحقيق: عبد الرقيب مطهر محمد حجر، ط (1)، ج (2)، مركز أهل البيت (ع) للدراسات الإسلامية، صعدة، 1425هـ/2004م، ص233.

[3] المخلافة: هي المقاطعة الواقعة قبالة حجة، منها: نجرة (التي منها قراضة)، وبني العصري وحصن حقيل، وشطر من بني العوام، ولاعة والشغادرة (إبراهيم المقحفي، معجم البلدان، ص596).

[4] حراز أحد نواحي محافظة صنعاء إلى الغرب منها بمسافة (81كيلومتراً، كانت وما تزال مركز الباطنية في اليمن، وهي تنسب إلى حراز بن الغوث بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد ... بن حمير بن سبأ (إبراهيم أحمد المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج (1)، دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع، صنعاء، 1422هـ/2002م، ص177-178).

[5] يحيى الحمزي، مرجع سابق، ص63.

[6] المرجع السابق، ص63.

[7] علي الخزرجي، مرجع سابق، ج1، ص107-108.

الأحكام على الغز وغيرهم بقوة عزمه وصدق نيته، وأتى العلم إلى الإمام فشكر سعيه ودعا له[1]، ومنهم القاضي ركن الدين يحيى بن جعفر بن أحمد بن عبد السلام الذي كان مبرزاً في العلوم محققاً في أنواعها، وقد تولى للإمام عبد الله بن حمزة حقل وحقالية[2] وما بينهما من بلاد جنب، وتولى القضاء في ما بان هنالك من تلك النواحي، فكان "يقضي بين الناس ويقيم الحدود على مستحقيها في جميع تلك البلاد"[3].

ومن القضاة الذي تم الاستعانة بهم لإدارة شؤون القضاء القاضي شرف الدين إبراهيم بن أحمد بن أبي الأسود الأقهومي وهو من خير عباد الله زهداً وورعاً وعلماً الذي كان قاضي الإمام عبد الله بن حمزة في بلاد شظب وتلك الجهات[4]، والقاضي سليمان بن الحسن الحمامي قاضي الإمام المنصور في بلاد عذر ومقدمها[5]، والقاضي أبي القاسم بن حسين بن شبيب في بلاد حرض بأمر الإمام المنصور بالله، والقاضي علوان بن بشر بن حاتم المتولي لإقامة الحدود على مستحقيها في حصن ذي مرمر عن أمر الإمام المنصور بالله وقد علم بوجود خمر في أحد المنازل فأخرج أهله منه وهدمه على ما فيه[6]، والقاضي مؤمل بن محمد النجراني في بيحان بأمر الإمام المنصور بالله وكان يصلي بهم الجُمَعَ ويقضي بينهم بالأحكام الشرعية[7]، والقاضي عزان بن سعيد ومفضل بن أبي رازح في بلاد مذحج بأمر الإمام المنصور بالله[8]، والقاضي سليمان بن عبد الله السفياني وهو الفقيه العالم ذو الفضل والخير وكان قاضي الإمام المنصور بالله بشوابه[9].

وكان بعض العلماء يتولى القضاء وأيضاً يتولى مهمة جمع الزكاة أو الخراج، وكذا إقامة الجمعة وغير ذلك من المهام، مثل القاضي محمد بن نشوان الحميري الذي ولاّه الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة قبض الحقوق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الوزن والكيل بالقسط، ونفي الجور في بلاد مغارب خولان وحيدان وبرط ومران، وما يوالي تلك الجهات من النواحي والبلدان، فقام بذلك أحسن قيام على الوجه المطلوب[10]، والقاضي زكي الدين يحيى بن جعفر بن أبي يحيى الذي ولاه الإمام المنصور بالله بلاد بني شاور وهو القاضي بها والحاكم فيها بين الناس، والمتولي لقبض خراجها وحقوق الله الواجبة فيها، فقام بذلك أحسن قيام[11].

وقد اشتهرت أسر بالفقه والعلم والقضاء، واشتهرت بصعدة أسرة علمية قضائية هي أسرة آل أبي النجم الذي كان لها دور ثقافي وعلمي مهم في القرنين السادس والسابع الهجريين والقرون الآتية، ومن أبرز أعلام هذه الأسرة العلامة القاضي أبو محمد عبد الله بن حمزة بن أبي النجم (ت أوائل السابع) الفقيه العلامة رئيس صعدة في وقته، وعين علماء الزيدية،

1 أبو فراس بن دعثم، السيرة الشريفة المنصورية سيرة الإمام عبد الله بن حمزة (593-614هـ)، تحقيق: د. عبد الغني محمود عبد العاطي، ط(1)، ج(2)، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1414هـ/1993م، ص48، ويحيى بن القاسم، مرجع سابق، ص140.

2 الحقالية: محلة من قرية حقل، عزلة بلاد جنب العمري ناحية السود (من هامش السيرة المنصورية).

3 يحيى بن القاسم، مرجع سابق، ص138، وأحمد بن أبي الرجال، مطلع البدور، ط1، ج4، ص489.

4 أبو فراس بن دعثم، مرجع سابق، ج2، ص354،355.

5 المرجع السابق، ج2، ص325.

6 نفسه والجزء نفسه، ص170،171.

7 نفسه والجزء نفسه، ص140،141.

8 نفسه والجزء نفسه، ص103، حاشية رقم (2).

9 نفسه والجزء نفسه، ص308.

10 يحي بن القاسم، مرجع سابق، ص138، وإبراهيم الشهاري، مرجع سابق، ج2، ص1085، وأحمد بن أبي الرجال، مرجع سابق، ط1، ج4، ص375.

11 أبو فراس بن دعثم، مرجع سابق، ج2، ص385.

كان عالماً فاضلاً مرجوعاً إليه[1]، وأخوه محمد تولى منصب القضاء للإمام عبد الله بن حمزة[2].

وبعض العلماء وهم قليل كانوا يتولون الإمارة على بعض المدن مثل القاضي العلامة ركن الدين محمد بن عبد الله بن حمزة بن أبي النجم (ت610هـ/1213م) قاضي قضاة المسلمين وأحد علمائهم، كان حاكماً لمدينة صعدة في أيام الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة، وله مذكرات ومراجعات، وأثنى عليه الإمام المنصور بالله كثيراً[3]، ولما توفي ولّى الإمام قضاء صعدة ولده تقي الدين عبد الله بن محمد بن عبد الله، وكتب له عهداً، واستمر على القضاء إلى أيام الإمام المهدي أحمد بن الحسين، وولاه القضاء إلى أن توفي، وولى القضاء بعده ولده ركن الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله[4].

وممن تولى القضاء من أسرة آل أبي النجم القاضي العلامة ركن الدين عطية بن محمد بن حمزة بن أبي النجم (ت ق7هـ)، وهو أحد أعلام العلماء الأكابر، وكان فاضلاً محققاً سابقاً إلى الخير مرجوعاً إليه، وقد تولى القضاء بحلي بن يعقوب من أعمال تهامة عن أمر الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة[5]، وهكذا نجد أن العلماء–بما ذكرناه من الأمثلة– كانوا يشاركون في حل مشكلات المجتمع المختلفة من خلال تلك المناصب الإدارية التي يتولونها.

أما في عهد الإمام المهدي أحمد بن الحسين فقد استعان بعدد من القضاة في إدارة شؤون الدولة ومنهم القاضي المجاهد أحمد السعدي الذي جعله مساعداً لوالي صنعاء الأمير الحسن القاسمي، والقاضي أحمد بن سليمان العنسي الذي كان قاضياً للإمام على صنعاء[6]، والقاضي الحسن بن أبي البقاء بن صالح يزيد التهامي[7]، الذي كان قاضياً للإمام على بلاد عنس وغيرهم.

ولضمان نزاهة القضاء في الدولة الزيدية حذر الأئمة القضاة من حضور ولائم الخصوم، حتى بعد البت في قضاياهم وجعلوا لهم مرتباً يقوم بهم ويسد حاجتهم، وهذا ما أشار إليه الإمام المهدي أحمد بن الحسين حين قال: "وجُعل له ... أن يأخذ أجرة عمله مما يجوز لمثله من الإشراف من خراج أو خمس أو شيء يؤخذ من غير الزكاة فإنها محرمة على بني هاشم ... "[8].

3. دور العلماء في إمامة المساجد والدعوة والوعظ والإرشاد:

كانت المساجد عامرة بالعلماء الذين قاموا بالإمامة والأذان والخطبة فيها، وكان يتم تعيين أئمة المساجد في المدن الرئيسة كجامع صعدة وصنعاء وغيرها من المساجد الجامعة في المدن أو القرى الكبيرة من قبل المتولين على الأمر في تلك المدن أو القرى[9]، وقد حرص حكام الدولة الزيدية على إسناد الإمامة في المساجد الجامعة في المدن الرئيسة إلى العلماء المحدثين والقراء الفاضلين.

وكان الإمام الذي يؤم المصلين في هذه الجوامع لابد أن يكون من العلماء الأفاضل، وقد تعاقب عليها عدة أئمة فيهم من الفضل والصلاح والحرص على

[1] إبراهيم الشهاري، مرجع سابق، ج1، ص610، وأحمد بن أبي الرجال، مرجع سابق، ط1، ج3، ص81.
[2] إبراهيم الشهاري، مرجع سابق، ج2، ص967.
[3] المرجع السابق، ج2، ص998،999، وأحمد بن أبي الرجال، مطلع البدور، ط1، ج4، ص326.
[4] أحمد بن أبي الرجال، مرجع سابق، ط1، ج4، ص327.
[5] إبراهيم الشهاري، مرجع سابق، ج2، ص681،682، وأحمد بن أبي الرجال، مطبع البدور، ط1، ج3، ص177،178.
[6] يحيى الحمزي، مرجع سابق، ص111.
[7] إبراهيم بن القاسم، مرجع سابق، ج1، ص295.
[8] أحمد بن الحسين، مرجع سابق، ص147-148.
[9] عبد الرحمن الشجاع، مرجع سابق، ص155.

دين الله مالا يستطيع أحد أن يقول فيهم شيء وأحياناً كانوا من رواة الحديث، ففي مسجد صعدة الكبير (جامع الإمام الهادي) نسبة إلى الإمام الهادي، الذي بناه عند دخوله إليها سنة284هـ فقد تولى الإمامة والخطبة فيه العديد من العلماء الأفاضل خلال القرنين السادس والسابع الهجريين–مدة الدراسة–ومنهم العلامة القاضي ركن الدين إسحاق بن أحمد بن عبد الباعث الصعدي (ت 555هـ) الذي كان من أهم علماء صعدة في القرن السادس الهجري وكان إمام محراب مسجد الإمام الهادي والخطيب بصعدة، ويعتبر من كبار علماء الزيدية وله تصانيف جمة ورسائل كثيرة ورواية واسعة كما أشارت إلى ذلك المصادر الزيدية، وله تعليق على الإفادة يعرف بتعليق ابن عبد الباعث[1].

أما في جانب الدعوة والإرشاد وانتشار التعليم فقد كان لدخول الدعوة الزيدية إلى اليمن شأن عظيم في ظهور حركة علمية كبيرة وانتشار التعليم، حيث زخرت اليمن في تلك المدة بعلماء هاجروا إلى اليمن وقاموا بالدعوة والوعظ والإرشاد وتعليم الناس أمور دينهم، ومن جملة هؤلاء الفقيه العلامة زيد بن الحسن بن علي البيهقي (ت551هـ) الذي قدم من خراسان إلى صعدة بعد أن دخل المدينة ومكة، حيث نهبت كتبه في الطريق بينهما، ورغم ذلك فقد وصل إلى اليمن سنة 541هـ إلى هجرة محنكة[2] ومازالت معه كتب غريبة وعلوم عجيبة في علوم الزيدية، فسر به الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان، وقد درس على يده الكثير من العلماء منهم الإمام أحمد بن سليمان والقاضي العلامة جعفر بن أحمد بن عبد السلام وحصلوا منه على الإجازات[3]، وكان يعقد مجلسه بمسجد الإمام الهادي بمدينة صعدة للدعوة والإرشاد[4].

ومنهم القاضي العلامة الفاضل داود بن عبيد الزيدي، كان من علماء وقته وفضلاء زمانه، الذي قدم من الحجاز إلى صعدة في أيام الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة وجاهد معه، وأقام يدرس في علم التوحيد، وينسخ الكتب التي يحتاج إليها، وكان شديد الاجتهاد في القيام بالأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وله في ذلك مواقف مشهورة وكثيرة، منها أنه جعل على من قطع الصلاة عشر جلدات، فصلى الناس رغبة ورهبة[5].

وسار حكام وعلماء الزيدية على نهج إقامة مجالس للوعظ والدعوة والإرشاد، ومنها المجلس الذي كان يعقده أحمد بن الريان في منزله لمشائخ الزيدية ليلاً فيحضرون إليه يذكرون الله تعالى وربما أضافوا إلى ذلك شيئاً من العلم مع التحدث إلى بعضهم البعض[6]، وكذا مجالس الوعظ والذكر التي كانت تعقد بمسجد سناع ليلاً الذي ابتدأها الشيخ الحسن بن زايد بن داود المذحجي، التي استمرت بعد ذلك وصار معمولاً بها في كثير من هجر الزيدية[7] ومساجدهم، وكان للزيدية المطرفية –أيضاً– مجالس للدعوة والإرشاد والوعظ في كل من وقش وسناع وبلاد

[1] إبراهيم الشهاري، مرجع سابق، ج1، ص243،244.
[2] محنكة: قرية عامرة في أسفل وادي حيدان من مخلاف خولان بن عمرو وأعمال صعدة على مسافة خمسة كيلومترات جنوباً من حيدان تقريباً، كانت هجرة مقصودة لطلب العلم (إسماعيل بن علي الأكوع، هجر العلم ومعاقله في اليمن، ط (1)، ج (4)، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1416هـ/1995م، ص1961).
[3] حميد بن أحمد بن محمد المحلي، الحدائق الوردية في مناقب ائمة الزيدية، تحقيق: د. المرتضى بن زيد المحطوري، ط(1)، ج(2)، مكتبة بدر للطباعة والنشر والتوزيع، صنعاء، 1423هـ/2002م، ص221، وإبراهيم الشهاري، مرجع سابق، ج1، ص446-449.
[4] إبراهيم الشهاري، مرجع سابق، ج1، ص447.
[5] أحمد بن أبي الرجال، مطلع البدور، ط1، ج2، ص267،268.
[6] مسلم اللحجي، مرجع سابق، ص28.
[7] المرجع السابق، ص50.

الأهنوم[1]، بل كانوا ينتقلون بين مختلف المناطق للدعوة إلى الله.

وهكذا شارك العلماء الناس في كل ما يهمهم ويصلح أحوال مجتمعهم من حل للقضايا ومتابعة للإحداث التي حصلت ولم يبتعدوا عنها، حرصاً منهم على وحدة المجتمع، وتوصيل الرسالة والغاية من علمهم بتعليم الناس، وحل مشاكلهم لإيجاد مجتمع مثالي، متألف متأخي الكل فيه يقوم بواجبه.

ثانياً: المتعلمون (طلبة العلم):

جعل الإسلام طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، لقوله تعالى **{فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ}**[2]، وجعل الإسلام طلب العلم سبيلاً إلى الجنة، وقد جاء عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة، التي تحث على طلب العلم ومنها قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة"[3]، ولذلك فالعلم يطلب من المهد إلى اللحد، والأصل في الإنسان أن يكون طالب علم طوال حياته.

والمسلم يطلب العلم منذ بداية حياته حتى وفاته، وأن يكون من طلبة العلم، فطالب العلم هو كل شخص له رغبة في التعلم بصرف النظر عن سنه والمدة التي يقضيها في طلب العلم[4].

والإسلام حينما جاء كان من أول ما أنشأه تلك الاستعدادات والدوافع النفسية لطلب العلم لدى الإنسان، فعمل على تنميتها من خلال العلم والتعلم، وسعى بكل وسائله لإرساء دعائم العلم والتعلم[5]، ثم جمع الله سبحانه وتعالى دينه في كتاب مقروء وهو القرآن الكريم، فكان لابد من التعلم لمعرفة كتاب الله تعالى، ثم دونت السنة النبوية وسيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لتكون النموذج التطبيقي لكتاب الله تعالى، فكان لابد أيضاً من التعلم لمعرفة النموذج العملي للإسلام[6]، فالمتعلم يسعى في حياته العلمية للاستزادة من العلم للوصول إلى معرفة دينه والتفقه فيه، كيف لا ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:" من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين"[7].

وبالرغم من الظروف السياسية المضطربة والحروب المتتالية والظروف الاقتصادية الصعبة وشحة أو قلة مصادر التمويل التي كانت تعانيها الدولة الزيدية الثانية خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، الذي أثر بدوره على الإنفاق والصرف على طلبة العلم والعلماء المدرسين وتوفير المسكن والمأكل وغير ذلك مما يحتاج إليه المتعلمون؛ إلا أن العامل السياسي ساهم مساهمة فعالة في النهضة التعليمية، فقد كان للأئمة والأمراء دور بارز ونشط في الدفع بالحركة العلمية، وتوفير كل الظروف الممكنة للعملية التعليمية في تلك المدة، نظراً لما يتمتع به الأئمة من قدرات علمية كبيرة ومهارات إدارية وحنكة سياسية عالية، كل ذلك وغيره أثر بقوة في الدفع بالتعليم والحث على التعلم والتعليم لكل فئات وشرائح المجتمع، وقد تجلى ذلك في الكم الهائل من الكتب والمؤلفات التي تركها أئمة وعلماء الدولة الزيدية الثانية.

---

1 نفسه، ص96، 114، 141.
2 التوبة، 122.
3 محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه أبو عبد الله، سنن ابن ماجه، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه العلامة المحدث: محمد ناصر الدين الألباني، ط(1)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، حديث رقم 223، ص56.
4 منير الدين أحمد، تاريخ التعليم عند المسلمين، والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري، تلخيص وتعليق د: سامي الصقار، دار المريخ، الرياض، 1401هـ/1981م، ص73.
5 عبد الرحمن الشجاع، مرجع سابق، ص96.
6 المرجع السابق، ص97.
7 محمد بن ماجه، مرجع سابق، حديث رقم221، ص56

وكان للوازع الديني والدافع الاجتماعي واللذان يحثان على طلب العلم وتبليغه لجميع الناس، وكذا الاستقرار النسبي الذي شهدته الدولة الزيدية الثانية وخصوصاً في مدة حكم الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة التي استمرت نحو عشرين عاماً، وأيضاً سهولة الاتصال بالعالم الخارجي أو العامل الجغرافي وكذا وجود هجر العلم، كل ذلك كان له دور كبير ومساهمة كبيرة في التشجيع على طلب العلم والتعلم، حيث شجع ذلك العلماء وطلبة العلم من مختلف البلدان على القدوم إلى اليمن للتزود من علوم علماء الدولة الزيدية الثانية أو التدريس ونشر المذهب الزيدي في اليمن، كل ذلك أدى إلى الدفع بالعملية التعليمية في تلك الدولة، وساهم في إقبال الناس على التعلم والتعليم.

-يمكن تقسيم المتعلمين في تلك المدة إلى:

1. طلبة المرحلة الأولى (الصبيان).

2. طلبة المراحل العليا.

وسنفصل ذلك على النحو الآتي:

1. المتعلمون في المرحلة الأولى (الصبيان):

تكون تربية وتعليم الصبيان على يد الوالدين والمعلم في الكتَّاب الذي يقوم على تعليم الصبيان المبادئ الأساسية للدين ويشمل تعليمهم كيفية الوضوء والصلاة وغيرها من مبادئ الدين الأساسية، وتعليمهم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب وحفظ ما يمكن حفظه من القرآن الكريم وبعض الأحاديث النبوية، وكذا بعض الآداب والأخلاق الإسلامية التي تشكل عقليتهم الإسلامية مثل الأدب مع المعلمين ومع غيرهم، واحترام الآخرين والصدق والأمانة واحترام العادات والتقاليد، وكان أولياء الأمور في هذه المرحلة حريصون كل الحرص على تعليم أبنائهم، لكي يتعلموا الأشياء الأساسية والضرورية من العلم، التي تؤهل من يريد مواصلة التعليم في المراحل الآتية للمرحلة الأولى أو من تمكنه ظروفه من مواصلة التعليم.

ولم يواصل التعليم من طلبة المرحلة الأولى، إلا من كان لديه نبوغ ذاتي ومثابرة قوية لمواصلة تعليمه، الأمر الذي دفع بأهله أن يواصلوا تعهده لمواصلة تعليمه، أو أن أهل الطالب هم أهل علم يحبون لأولادهم أن يواصلوا ما هم عليه من حمل مسيرة العلم، وتوفر لديهم متطلبات التحصيل العلمي، لاسيما إذا لاحظوا فراسة ابنهم ونباهته في الناحية العلمية، وهؤلاء هم أهل علم إما علماء أو فقهاء أو قضاة أو محدثين مثل أبناء القضاة والمحدثين وكبار الموظفين، وهذا النوع من التعليم محدد بسن معين فقد يصل إلى اثني عشر عاماً تقريباً وذهب بعضهم إلى عدم تحديد وقت معين للتعليم ويكرروا القول: إن التعليم من المهد إلى اللحد[1].

2. المتعلمون في المرحلة العليا:

لم يكن هناك إلزام لاستمرار التعليم في المراحل العليا ويرجع ذلك للأحداث والاضطرابات التي كانت تحدث في تلك المدة، حيث لم يكن يقبل على مواصلة التعليم إلا من تتوافر لديه الرغبة الحقيقية عند أهله، والنبوغ الذهني الذي يدفعه لاقتحام الصعاب أو التمذهب بمذهب يدفع أهله إلى تعليمه والدعوة إليه مثل الزيدية، حيث كان الهدف من مواصلة التعليم في المراحل العليا هو التعمق والاستزادة من العلوم

[1] منير الدين أحمد، مرجع سابق، ص74، وبرهان الدين الزرنوجي (ت بعد 563هـ)، تعليم المتعلم طريق التعلم، إعداد الدكتور: عبد اللطيف محمد العبد، ط(1)، النهضة العربية، القاهرة، 1397هـ/1977م، ص47.

المختلفة والمعارف الجديدة والوصول إلى معرفة أصول الدين والتفقه فيه[1].

والمتعلم في هذه المراحل يكون على درجة من الرشد والوعي، حيث قرر بذاته وإرادته اختيار طريق العلم والسعي إليه، ولم تكن هناك مدة محددة لطلب العلم أو شروط محددة في الغالب لحضور جلسات العلماء وحلقاتهم فكان الأمر مفتوحاً، فمن أراد أن يتعلم ويتفقه وتوافرت له الإمكانات المادية وتهيئت له الظروف الاجتماعية فمن حقه أن يلتحق بأي حلقه أو أي شيخ علم، ويمكن تصنيف المتعلمين في هذه المرحلة إلى صنفين: الصنف الأول: طلبة عارضون، والصنف الثاني: طلبة منتظمون أو دائمون[2].

أ- الطلبة العارضون:

لم يكن التعليم والعلم محصوراً في أماكن محددة ومقصوراً على من ينتظم للدراسة في هذه الأماكن، بل كان العلم متاحاً لجميع طوائف الناس وكانت الحلقات العلمية والمجالس والمنتديات العلمية تقام في المساجد الجامعة أو في منازل العلماء أو في الأماكن العامة، وكان يحضر تلك المجالس من يشاء من الناس ويتعلم منهم من يريد أن يتعلم، وكان هناك الكثير من الناس ممن يحضر تلك المجالس والحلقات كان يحضرها ليتفقه في الدين من هذا العالم أو ذاك ثم يؤهل نفسه ليكون هو عالماً بدوره[3].

ويعد هذا الصنف أكثر المتعلمين عدداً؛ لأنه ضم الكثير من الناس الذين كانوا يحضرون دروس العلم ليتعلموا أمور دينهم ودنياهم، ومما ساعد على ذلك أنه لم تكن هناك قيود تحد من التحاق من يريد الالتحاق بتلك المجالس أو الحلقات، إذ لم تكن هناك شروط معينة لسن الالتحاق بهذه المجالس والحلقات غير الاستعدادات النفسية والعقلية لمن يرغب، فكانت تقام هذه المجالس العلمية والحلقات المفتوحة في مساجد المدن الجامعة أو القرى الكبيرة، وكان يحضرها كثير من الناس ولاسيما بعد صلاة العشاء[4]، وقد جاء في بعض الروايات أن أهل صنعاء كانوا يأتون المجالس العلمية للفقهاء والعلماء بعد صلاة العشاء لكي يسمعوا ويتعلموا منهم، حتى إذا ما دق الناقوس مؤذناً حظر التجوال عادوا إلى منازلهم[5].

وكانت هذه المجالس والحلقات العلمية فرصة سانحة لكل من يريد أن يتعلم فكان القضاة في مرتبة علمية عالية وكان منهم المحدثون الذين روى عنهم أئمة أهل الحديث، كما كانت هذه المجالس تتولى الرد على فتاوى العامة في أمور حياتهم وما يتعلق بها، وكانت هذه المجالس عادة مفتوحة يحضرها من يريد من الناس، وكان طلبة الفقه يحرصون على حضورها وتدوين الفتاوى التي تصدر فيها كونها تعد فرصة سانحة لكل من يريد أن يتعلم أو يشاهد الجانب العملي لتطبيق الأحكام الفقهية التي درسها[6].

ومن أمثلة ذلك: المجالس والحلقات العلمية للفتوى والوعظ وغير ذلك التي كان الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة يقيمها مدة إقامته في صعدة بحضور العلماء والإشراف وأهل المعرفة في كل فن من فنون العلم، فكان يجيب عن المسائل والفتاوى

[1] عبد الرحمن الشجاع، مرجع سابق، ص102،103.
[2] منير الدين أحمد، مرجع سابق، ص61.
[3] عبد الرحمن الشجاع، مرجع سابق، ص130.
[4] عمارة بن علي اليمني (ت569هـ)، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، ط(2)، مطبعة السعادة، القاهرة، 1396هـ/1976م، ص228، وعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الوصابي (ت782هـ)، تاريخ وصاب المسمى الاعتبار في التواريخ والآثار، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، نشر مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار العودة، بيروت، 1979م، ص63.
[5] أحمد بن عمر ابن رسته (ت290هـ)، الأعلاق النفسية، ط(1)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988م، ص108.
[6] منير الدين أحمد، مرجع سابق، ص6.

وغيرها من وقت الضحى إلى آخر النهار وكان يروي من الأخبار والقصص السالفة ما يعجز عنه البلغاء وأهل المعرفة، فيبين للحاضرين المسائل ويوضحها بالأدلة القاطعة[1]، كذلك كانت مجالس الحكم تتضمن أحكاماً هامة تهم عامة الناس وتنظم شؤونهم فيتعلمون من ذلك، وأيضاً الخطب في المساجد والمناسبات العامة والخاصة التي كان من أهدافها تعليم الناس ونشر العلم لعامة الناس، فيتعلم من أراد أن يتعلم من ذلك.

ومن أمثلة المجالس والحلقات العلمية التي كانت تعقد للطلبة العارضين في تلك المدة مجالس وحلقات الفقيه زيد بن الحسن البيهقي (ت555هـ) الواصل إلى اليمن من العراق بمسجد الإمام الهادي بمدينة صعدة وذلك يومي الخميس والجمعة واستمرت لمدة سنتين ونصف[2]، وبعد أن درَّس في صعدة وغيرها تقدم إلى سناع وسمع كلامه ألوف من الناس على اختلاف طبقاتهم ومشاربهم[3]، كما درّس الفقيه حميد بن أحمد القرشي (ت623هـ/1226م) في صعدة بمسجد الإمام الهادي، وكان يروي فيه كتب الأمالي، ومنها "أمالي المرشد بالله الخميسية" وذلك في شهر رمضان سنة 599هـ[4].

ومجالس الذكر التي كانت تعقد بمسجد سناع ليلاً، الذي ابتدأها الشيخ الحسن بن زايد بن داود المذحجي، واستمرت بعد ذلك وصار معمولاً بها في كثير من مساجد وهجر العلم الزيدية[5]، ومجالس الوعظ والإرشاد للزيدية المطرفية في كل من وقش وسناع وبلاد الأهنوم[6]، بل وكانوا ينتقلون بين مختلف المناطق للدعوة إلى الله، كل ذلك ساهم في تعليم الطلبة العارضين وغيرهم من عامة الناس.

ب- الطلبة المنتظمون أو الدائمون:

هم الطلبة الذين أخذوا أنواع العلوم المختلفة عن العلماء المتخصصين بها، فحرصوا على ملازمة العلماء وحضور مجالسهم وحلقاتهم العلمية، حتى أصبحوا بعد ذلك هم الأساتذة الذين يعلمون جيلاً جديداً من الطلبة[7].

ولقد كان أعدادهم قليل مقارنة بأعداد المتعلمين غير المنتظمين؛ لأنه لا يلتحق بهذه المرحلة إلا من كانوا مؤهلين للاستمرار في تحصيل العلم ممن يتمتعون بالذكاء والنجابة الذاتية والقدرة على تجاوز الصعاب التي تعترضهم أثناء طلبهم للعلم سواءً كانت مادية أو علمية أو غير ذلك، وأصبحوا فيما بعد علماء يقصدهم الطلبة ليأخذوا عنهم العلوم وفي مقدمتهم الأئمة الحكام، فالإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان نشأ في بيئة علمية وتلقى العلم عن أشهر علماء الزيدية في عصره منهم الفقيه العالم الحسن بن محمد من ولد المرتصى، والفقيه عبد الله العنسي، الذي حضر إلى اليمن في سنة 501هـ قادماً من الجيل والديلم وعلى الشيخ العالم إسحاق بن أحمد بن عبد الباعث، ولم يتردد الإمام أحمد بن سليمان بعد أن تولى الإمامة في أن يأخذ المزيد من العلم عن الفقيه العالم زيد بن الحسن بن علي الخراساني البيهقي الذي وصل إلى اليمن سنة 540هـ[8].

والإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة الذي نشأ من صغره على العلم ولما فرغ من تعلم القرآن الكريم،

[1] أبوفراس بن دعثم، مرجع سابق، ج2، ص282.
[2] براهيم الشهاري، مرجع سابق، ج1، ص447.
[3] المرجع السابق، ج1، ص447،448.
[4] نفسه، ج1، ص418.
[5] مسلم اللحجي، مرجع سابق، ص50.
[6] المرجع السابق، ص96،114،141.
[7] عبد الرحمن الشجاع، مرجع سابق، ص130.
[8] سليمان بن يحيى الثقفي، سيرة الإمام أحمد بن سليمان، تحقيق: د. عبد الغني عبد العاطي، ط(1)، عين للدراسات، القاهرة، 2002م، ص11.

انتقل إلى الدراسة في أنواع العلوم فأخذ في علم الأدب وحفظ من شواهد اللغة مالم يحفظه أحد من أهل عصره، حتى أنه قيل أنه كان يحفظ قدر مائة ألف بيت من الشعر، وكان عارفاً بأيام العرب على ضرب من التفصيل، ثم ارتحل إلى قرية سناع للقراءة والدراسة على الشيخ الحسن بن محمد الرصاص وكان عالم الزيدية في عصره، وإليه انتهت رئاسة أصحاب القاضي جعفر، فقرأ عليه علم الكلام وفي الأصولين (أصول الدين والفقه) والأخبار المأثورة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وجمع الإمام بين القراءة في علمين حيث كان يكتب في لوح واحد عشراً في أصول الدين في جانب وفي جانب آخر عشراً في أصول الفقه[1].

ومن هؤلاء الطلبة الذين أصبحوا فيما بعد أئمة وعلماء تهوى إليهم أفئدة طلبة العلم ليتلقوا عنهم وليأخذوا عنهم العلم وهم فيما بعد أصبحوا يجلسون مجالس العلماء القاضي جعفر بن أحمد بن عبد السلام الذي رحل إلى العراق فقرأ وسمع على عدد وافر من العلماء، منهم: القاضي أحمد بن أبي الحسن الكني، قرأ عليه ببلدة الري عدة مصنفات، وقرأ بالكوفة على الحسن بن علي بن ملاعب الأسدي وأخذ عنه عدة مصنفات وسمع بمكة على العالم الزيدي علي بن عيسى بن وهاس الحسني (ت556هـ) فأخذ عليه كتاب "جلاء الأبصار" للجشمي وأجازه إجازة عامة بمروياته، كما سمع على أبي جعفر الديلمي كتاب "التهذيب" للحاكم الجشمي وأجازه ببقية كتب الحاكم، كما سمع بمكة على أبي سعيد بن سهل أبي مظفر الفلكي كتاب "المواقف الخمسين"[2]، وبعد عودته من رحلته العلمية كان القاضي جعفر بن أحمد يدرس العلوم وأصبح له حلقات دائمة وكان له مدرسة بسناع ولم يزل يدرس فيها حتى توفي بها[3].

والعلامة الكبير الشيخ الحسن بن محمد الرصاص (ت548هـ/1153م)، الذي أصبح من أشهر علماء الزيدية، وكانت له حلقة دائمة وكان يأتيه طلبة العلم الزيدية من مناطق شتى، وقد درس عليه الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة وقرأ عليه علم الكلام وأصول الفقه وفروعه والأخبار المأثورة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم[4]، والعلامة أبو القاسم بن حسين بن شبيب الحسني التهامي الذي رحل من تهامة ليقرأ على العلامة الشيخ الحسن بن محمد الرصاص[5].

والعلامة يحيى بن الحسين بن عبد الله البحيري (ت577هـ/1181م) الذي طلب العلم ورحل إلى مصر وقرأ على بعض العلماء بها، وكان شاعراً، وبعد ذلك أصبح من مشاهير علماء الزيدية وكان له حلقات دائمة للتدريس على مذهب الإمام الهادي يحيى بن الحسين وقد ظل يعلّم ويتعلم حتى توفي بمنزله بهجرة وقش[6].

ومنهم من طلب العلم كبيراً واتجه نحوه، وظل يتنقل بين الشيوخ ليأخذ ما يراه حقاً، مثل مطرف بن شهاب الذي أصبح عالماً فيما بعد ونسبت إليه الفرقة المطرفية إحدى فرق الزيدية، وصاحبه نهد بن الصباح[7]، وقد وصل ببعض هؤلاء أن يتقن العلوم ويحفظ المتون ويدرس في حلقات دائمة لمدة تزيد على

[1] حميد المحلي، مرجع سابق، ط1، ج2، ص265ومابعدها، وإبراهيم الشهاري، مرجع سابق، ج1، ص597.
[2] إبراهيم الشهاري، مرجع سابق، ج1، ص275.
[3] المرجع السابق، ج1، ص277،278.
[4] نفسه، ج1، ص597.
[5] نفسه، ج3، ص1294.
[6] يحيى بن القاسم، مرجع سابق، ص90، وإبراهيم الشهاري، مرجع سابق، ج3، ص1222حاشية رقم 3.
[7] يحيى بن القاسم، مرجع سابق، ص82،85.

ثلاثين سنة وكل ذلك من حفظه السابق، مثل الإمام الداعي يحيى بن محمد السراجي (ت690هـ) الذي عكف على التدريس بمسجد الأجذم ويعرف الآن بمسجد الوشلي بصنعاء حتى توفي سنة 696هـ بعد أن تم كحل عينيه من قبل الأمير علم الدين الشعبي بصنعاء[1] وغيرهم كثير.

ولقد كان للطلبة في هذه المراحل حرية الاختيار في تلقي العلوم المختلفة على يد من يعتقدون فيه العلم الغزير والورع، وأكبر دليل على هذه الحرية لدى الطلبة هي تلك الرحلات العلمية، التي كان يقوم بها أولئك الطلبة الذين أصبحوا فيما بعد علماء يشار إليهم ويقصدون من داخل اليمن ومن خارجه، ومما يؤكد تلك الحرية في اختيار العلماء والفقهاء أنه لا توجد مدة محددة للتحصيل ينتهي عندها الطلبة كما هو شأن التعليم الحالي، بل يظل الطالب في حالة تحصيل حتى لو قعد مقعد العلماء، فما يسمع بعالم-يعرف أكثر منه أو يعرف ما يعرفه ولكن بطريقة أخرى-إلا ورحل إليه وأخذ عنه وتخلى عن الأستاذية وأصبح طالباً مثله مثل غيره من طلبة العلم[2]، وخير مثال على ذلك الإمام أحمد بن سليمان الذي لم يتردد بعد أن تولى الإمامة في أن يأخذ المزيد من العلم عن الفقيه العالم زيد بن الحسن بن علي الخرساني البيهقي الذي وصل إلى اليمن سنة 540هـ[3]، ومطرف بن شهاب وصاحبه نهد بن الصباح طلبا العلم كباراً[4]، وكان الواحد منهم يقيم الأيام وبعضهم السنيين مع الأستاذ الذي يتلقى العلم عنه، فنهد بن الصباح ظل أربعين يوماً عند مطرف بن شهاب[5].

3-علاقات الطلبة (المتعلمون) ببعضهم:

تميزت علاقة الطلبة فيما بينهم على وجه العموم بالتعاون والتشارك والتآلف، ولم يشذ عن هذا إلا من خبث طبعه فأصابته الأثرة منذ صغره[6]، وكانت الظروف المحيطة بالطلبة تساعدهم على تقوية ما بينهم من روابط، فالأدوات الكتابية شحيحة، لاسيما الورق والكتب نادرة أو غالية فكان لابد من تبادل تلك الأشياء فيما بينهم[7]، ولذلك فإن علاقتهم ببعضهم تميزت بالاحترام المتبادل والتعاون لاسيما في الهجر العلمية البعيدة[8].

ولا شك أن العامل الديني كان له دور كبير في تقوية تلك العلاقة بينهم، فالدين الإسلامي يحث على التعاون والإيثار والحب للأخرين لاسيما بين المتعلمين، كما أن لظروف التعليم والمعيشة الأثر الكبير في تعميق وتقوية الروابط وتعزيز ذلك التعاون والإيثار فيما بينهم، كما أن الدراسة تتطلب في معظم الأحيان الترحال والسفر للقاء المشايخ والعلماء وكل ذلك أدى إلى تقوية الروابط الأخوية فيما بين المتعلمين، حتى أن بعضهم كان يصرف على زملائه ويساعدهم بقدر استطاعته؛ لذلك فقد ظلت العلاقة الطيبة بين زملاء الدراسة حتى المراحل المتأخرة من العمر بعد أن يسافر كل طالب إلى بلده[9].

وكل ذلك لا يمنع من وجود بعض التنافس بين طلبة العلم، نتيجة لنجابة بعضهم وسرعة البديهة

1 إبراهيم الشهاري، مرجع سابق، ج3، ص1253.
2 عبد الرحمن الشجاع، مرجع سابق، ص134.
3 سليمان الثقفي، مرجع سابق، ص11.
4 يحيى بن القاسم، مرجع سابق، ص82.
5 المرجع السابق، ص18.
6 عبد الرحمن الشجاع، مرجع سابق، ص135.
7 المرجع السابق، ص135.
8 قد سبق أن وضحنا كيف كان الطلبة ينقسمون إلى مجموعات في الهجر العلمية وأثناء طعامهم.
9 إسماعيل بن علي الأكوع، المدارس الإسلامية في اليمن، ط(2)، الجيل الجديد، صنعاء، 1985م، ص440.

لديهم، الأمر الذي يؤدي إلى اهتمام العلماء بهم أكثر من الطلبة الأخرين، فيؤدي ذلك إلى وجود بعض الضغائن والحسد في نفوس بعض الطلبة، وهذا وارد لأنهم بشر ولا أحد معصوم من الخطأ، ولكن ذلك لا يؤثر على علاقتهم الوثيقة ببعضهم.

4- علاقة الطلبة بالعلماء:

كانت العلاقة بين طلبة العلم ومشايخهم أو علمائهم علاقة احترام وتقدير وإجلال وطاعة، وتنفيذ لأوامرهم ونتيجة لتلك العلاقة الطيبة والحميدة بينهم استمر العلماء في بذل كل ما لديهم من معارف وعلوم في شتى المجالات قاصدين بذلك ابتغاء الأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى، وإفادة طلبتهم وإعانتهم على بلوغ أمانيهم في أن يصبحوا علماء يشار إليهم بالبنان، ومن جانب آخر فقد استفاد الطلبة نتيجة للعلاقة الطيبة بينهم وبين علمائهم أعظم الاستفادة، ولهذا كانت هذه العلاقة الطيبة تؤتي ثمارها في تخريج العديد من العلماء الأفاضل في تلك المدة.

وقد بالغ طلبة العلم في احترام وإجلال معلميهم وعرفوا لهم حقهم ولم ينسوا لهم فضلهم عليهم وكانوا ينزلونهم من أنفسهم منزلة عظيمة تماماً مثل آبائهم، وهذا يعتبر من ثمار التعليم الجيد لدى الطلبة المتعلمين أن يحترموا معلميهم، وكان للعامل الديني دور في تقوية هذه العلاقة بينهم، فالإسلام يحث على إجلال ورفعة من يحملون العلم نظير ما يقومون به من التعب والجهد والبذل في سبيل توصيل العلوم المختلفة التي يحملونها إلى طلبتهم، فالمعلم أب والمتعلمون أبنائه ولابد أن تسود بينهم العلاقة الطيبة والجيدة.

ومن مظاهر احترام وتقدير الطلبة لشيوخهم وعلمائهم ذلك المدح الثناء الذي كانوا يذكرون به شيوخهم وعلمائهم إذا ما جاءت مناسبة لذكرهم، فيثنون عليهم ويعترفون بفضلهم ويدعون لهم فهذا الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة وهو يتحدث في كتابة "الشافي" بعد كلام طويل عند ذكره أسانيد ما يروي طرقه عن الكثير من العلماء فيقول: أخبرنا الفقيه الفاضل بهاء الدين علي بن أحمد بن الحسين المعروف بالأكوع قراءة، وقوله: أخبرنا الفقيه سديد الدين عمرو بن جميل، وقوله: أخبرنا الشيخ الأجل الإمام الحسن بن محمد الرصاص، والشيخ الأجل محي الدين محمد بن أحمد بن الوليد، والشيخ الأجل حنظلة بن الحسن، والفقيه الأجل الزاهد أحمد بن الحسين بن المبارك الأكوع، وأخبرنا الفاضل شمس الدين جعفر بن أحمد بن عبد السلام، ومع كثرتهم يذكر صفاتهم الحسنة، بل ويدعو لبعضهم ويقول: "أسعده الله"[1].

وما ذُكر عن الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عند ثناءه ومدحه لشيخه الإمام الحسن بن محمد الرصاص لما اطلع على جوابه في الرسالة الطوافة قوله[2]: "أما بعد فإن الرسالة الطوافة انتهت إلينا إلى اليمن قاطعة خطامها، حاسرة لثامها حتى قال فلما اتصلت بحسام الدين رأس الموحدين أبي علي الحسن، علامة اليمن رأيت ما يبهر العقول نوراً، وكسرت طرفها وطاشت الفها وسلمت له القيادة وقالت له: أنت خير هاد ... "، وقد مدحه الإمام بأبيات فقال[3]:

يامن علا في العلوم مرتبة قصر عن نيل مثلها البشر

أهدى لنا النور وهو مبتعد عنا ولا غرو هكذا القمر

[1] إبراهيم الشهاري، مرجع سابق، ج1، ص599-604.
[2] المرجع السابق ج1، ص334.
[3] نفسه، ج1، ص334.

وأخيراً فإن العلاقة بين الطلبة والعلماء لم تكن تنتهي بمجرد الانتهاء من التعلم بحيث يأخذ الطلبة الإجازات وينصرفون، إنما كان الطلبة يواصلون شيوخهم وعلمائهم بعد ذلك إما بالزيارة أو المراسلة، وإذا لم يكن ذلك فإن الطلبة يدعون لشيوخهم وعلمائهم ويذكرونهم دائماً بالخير.

5- أحوال المتعلمين (الطلبة) المالية:

تعد الحالة المالية للطلبة المتعلمين مهمة جداً في استمرارهم في تحصيلهم العلمي، لاسيما في تلك المدة، لأن الطلبة كانوا يحتاجون من النفقات التي تعينهم على التحصيل العلمي ولا سيما إذا كان التحصيل العلمي يتطلب التنقل والسفر إلى أماكن مختلفة داخل البلد أو خارجه.

والناحية المالية للطلبة عادة ما تكون سبباً في استمرارهم في التعليم والتقدم والتحصيل العلمي، أو سبباً للنكوص والقعود والتخلي عنه والانصراف إلى مزاولة أعمال يكتسبون منها أرزاقهم وخصوصاً أن تلك المدة لم تكن فيها موارد متنوعة أو دخول جيدة للأفراد، حيث كان أكثر اعتمادهم على الزراعة من خلال الأمطار الموسمية، ولذلك كانت ظروفهم الاقتصادية صعبة وقاسية، وقد انعكس ذلك على عدم مواصلة بعضهم لتحصيلهم العلمي للمرحلة العليا للتعليم واكتفائهم بالتعليم الأولي (تعليم الكتَّاتيب).

ولكن الظروف القاسية وشظف العيش لم يحل دون مواصلة بعضهم لتحصيلهم العلمي، رغم قلة المؤنة فبساطة العيش ووجود بعض المحسنين الذين أوقفوا بعض أراضيهم وجعلوا بعض من ريعها تخصص وتنفق على طلبة العلم، وأيضاً سهولة الانتقال من بلد إلى آخر وداخل البلد الواحد بدون تعقيدات وقيود وإلى جانب رغبة الطلبة النفسية كل ذلك وغيره أدى ببعضهم إلى مواصلة تعليمهم ووصولهم إلى مبتغاهم ومطمحهم في أن يكملوا دراستهم وتحصيلهم العلمي.

ويمكن تصنيف المتعلمين في تلك المدة إلى ثلاثة أصناف اتفقوا كلهم في غايتهم وأهدافهم ورغباتهم رغم تفاوت وتباين مصادر تمويلهم، التي تعتبر من أهم الوسائل المعينة للطلبة على تحصيلهم العلمي ومواصلة تعليمهم وكانوا على النحو الآتي:

أ- الصنف الأول: المتعلمون الأغنياء:

الطلبة الأغنياء هم أبناء الأسر الغنية التي كانت تمتلك الأراضي والأموال التي ورثتها عن أسرها، أو أن من يعولهم كانوا يعملون في دواوين الدولة مثل القضاة والمحتسبين ومن يعمل مع الدولة، وهؤلاء كانوا يصرفون على أنفسهم ويقدمون المساعدة لمعلميهم ومشايخهم وكنتيجة لذلك كانوا يبدأون الدراسة في سن مبكرة، وذلك لتوفر أدوات ووسائل التعليم المختلفة لهم، وكانوا ميسورين ولا يعانون من شظف العيش، وكان جل همهم منصباً على التحصيل العلمي.

ب-الصنف الثاني: المتعلمون العاملون (أصحاب المهن):

وهؤلاء هم الطلبة الذين مارسوا حرفاً ساعدتهم على مواصلة الدراسة، لاسيما الذين درسوا في المدن الرئيسة التي تتوفر فيها مختلف الأعمال والحرف والمهن[1]، ونتيجة لعملهم في النهار لكسب الرزق، كانت دراستهم في الحلقات العلمية والمساجد لدى العلماء تتم في المدة المسائية في أغلب الأحيان، وهؤلاء الطلبة اعتمدوا على أنفسهم في طلب العلم، وذلك بمزاولة مهن مختلفة ومتعددة إلى جانب طلبهم

[1] محمد الجندي، مرجع سابق، ج2، ص437.

للعلم، دون أن تعرقلهم تلك المهن عن طلب العلم وتحصيله من المشايخ والعلماء، وهناك الكثير من طلبة العلم الذين مارسوا حرفاً مختلفة؛ لكي يقتاتوا منها ويصرفوا على متطلبات تحصيلهم العلمي.

ج- الصنف الثالث: المتعلمون الفقراء:

وهؤلاء الطلبة الفقراء كانوا يعانون من شظف العيش، ولم يكن لهم أي مصدر للدخل يعينهم على تحصيلهم العلمي، إلا ما كانوا يتحصلون عليه من أصحاب الخير من العلماء الخيرين، الذين كانوا يتولون الإنفاق عليهم[1]، مثل مطرف بن شهاب الذي كان ينفق على نهد بن الصباح[2].

ومنهم من يعتمد على أوقاف المؤسسات التعليمية التي تعلموا فيها، فكان لهم الحظ الأوفر فيها، وقد عرف العلماء بشدة احتياج المتعلمين للكتب العلمية، التي كانت نادرة وغالية، فأوقفوا الكتب وجعلوها في أماكن مأمونة ويسروها للطلبة، واشترطوا تيسيرها للمحتاج لها، مثال ذلك في ريدة خصصت مكتبة في بيت الشيخ محفوظ الزيدي لتضم كتب الزيدية فيأتيها من يريد الاطلاع عليها[3].

وهكذا يتبين أن حالة الطلبة المالية كانت تتفاوت بين الغنى والفقر، فطلبة المناطق النائية والبعيدة عن مراكز التعليم لاسيما الفقراء منهم لم تهيأ لهم فرصاً مناسبة لمواصلة التعليم لبعدهم عن المدن والقرى العلمية ولتخلف الحياة الثقافية والعلمية في مناطقهم، وأما من أراد التعليم منهم من ذوي القدرة المالية فيواصل التعليم في سن متأخر[4]، وعلى العكس من ذلك فطلبة المدن الأغنياء كانت فرص التعليم لديهم ميسرة، فبجانب قدراتهم المالية توفرت لهم في المدن مختلف المؤسسات التعليمية والاجتماعية التي سهلت لهم طلب العلم.

-الخاتمة والاستنتاجات:

من خلال دراسة أوضاع المعلمين والمتعلمين في الدولة الزيدية الثانية باليمن خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، تبين مدى أهمية التعليم للفرد والمجتمع ومدى اهتمام المجتمع آنذاك باختيار المعلمين والمدرسين، والمكانة الاجتماعية العليا والرفيعة التي كان يتمتع بها العلماء في تلك المدة، والعلاقة الطيبة والايجابية بين العلماء المعلمون والمربون وبين مجتمعهم، وبين العلماء وطلبتهم، وأن إعداد المعلمين كان في بعض الأحيان لا يتم في أماكن خاصة معينة وإنما يقوم به المشائخ والعلماء، وأن فتح باب الاجتهاد والبحث وإعمال العقل والفكر الذي تميز به المذهب والفكر الزيدي عن سائر المذاهب الأخرى كان له دور كبير في محاربة الجمود الفكري، وآثاراً إيجابية على التعليم في الفترات اللاحقة، وقد خلص البحث إلى جملة من الاستنتاجات أبرزها ما يأتي:

1- كان للوضع الديني دور بارز مؤثر في التعليم، حيث كان أغلب رجال الدولة والعلم من علماء الدين، وكذلك كانت أكثر المؤلفات تدور في إطار التدين والحركة الدينية.
2- تأثيرٌ الأوضاع السياسية على التعليم والنشاط العلمي والحركة العلمية.
3- كان المجتمع اليمني يعطي للانتماء القبلي مكانة تفوق الولاء للعقيدة في مواضع كثيرة.

[1] محمد الجندي، مرجع سابق، ج1، ص237.
[2] مسلم اللحجي، مرجع سابق، ص12.
[3] يحيى بن القاسم، مرجع سابق، ص52.
[4] محمد الجندي، مرجع سابق، ج2، ص239.

4- انعكاس الوضع الاقتصادي على الوضع العلمي، فظهر أثر ذلك في أحوال العلماء والمتعلمين والمؤسسات التعليمية والحركة العلمية بشكل عام.

5- شهدت الحياة العلمية في اليمن في ظل الدولة الزيدية الثانية تنافساً واضحاً بين فرق الزيدية المخترعة والمطرفية، وبينهما وبين اتباع المذاهب الأخرى، وكانت المؤلفات العلمية للزيدية المخترعة أكثرها؛ لاعتمادها على تشجيع ودعم أئمة وأمراء وعلماء الدولة الزيدية المخترعة.

- **التوصيات:** بناءً على نتائج البحث يوصي الباحث بالآتي:

1- استكمال حلقات البحث في الفترات والعصور التي لم تنل حظها من البحث.

2- دراسة الحياة العلمية والفكرية والثقافية لأئمة وعلماء الدولة الزيدية الثانية خلال مدة الدراسة التي احتوت العديد من الأئمة الذين كان لهم الكثير من المؤلفات والمصنفات في كثير من المجالات العلمية.

3- دراسة متعمقة للمؤلفات والمقررات الدينية والشرعية والفكرية والعلمية واللغوية وغيرها لحكام وعلماء الزيدية خلال مدة الدراسة في مختلف المجالات.

4- دراسة وتحقيق المخطوطات التي لازالت حبيسة المكتبات الخاصة والعامة وإبراز التراث العلمي والفكري والثقافي لحكام وعلماء الدولة الزيدية الثانية خلال مدة الدراسة والمحددة بالقرنين السادس والسابع الهجريين.

-قائمة المصادر والمراجع:

[1] إبراهيم أحمد المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع، صنعاء، 1422هـ/2002م.

[2] إبراهيم بن القاسم الشهاري، **طبقات الزيدية الكبرى ويسمى بلوغ المراد إلى معرفة الإسناد**، تحقيق/ عبد السلام بن عباس الوجيه، ط (1)، ج(2)، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمان، 1421هـ/2001م.

[3] أبو فراس بن دعثم، **السيرة الشريفة المنصورية سيرة الإمام عبد الله بن حمزة (593-614هـ)**، تحقيق: د. عبد الغني محمود عبد العاطي، ط(1)، ج(2)، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1414هـ/1993م.

[4] أحمد أحمد الأنسي: "**المقررات الدراسية في اليمن في عهد الدولة الصليحية (439هـ-532هـ)**"، مجلة الدراسات الاجتماعية، العدد (50)، أكتوبر-ديسمبر، تصدر عن جامعة العلوم والتكنولوجيا، صنعاء، 2016م.

[5] أحمد بن أحمد عبد اللطيف الشرجي (ت893هـ)، **طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص**، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، 1406هـ/1986م.

[6] أحمد بن الحسين الإمام المهدي (ت656هـ/1259م)، **مجموع رسائل**، تحقيق: عبد الكريم أحمد جدبان، ط (1)، منشورات مكتبة التراث الإسلامي، صعدة، 1424هـ/2003م.

[7] أحمد بن صالح بن أبي الرجال، **مطلع البدور ومجمع البحور**، تحقيق: عبد الرقيب مطهر محمد حجر، ط (1)، مركز أهل البيت (ع) للدراسات الإسلامية، صعدة، 1425هـ/2004م.

[8] أحمد شلبي، **التربية والتعليم في الفكر الإسلامي موسوعة الحضارة الإسلامية**، مكتبة النهضة الحديثة، القاهرة، 1987م.

[9] أحمد بن عبد الله الرازي (ت460هـ)، **تاريخ مدينة صنعاء**، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري وعبد الجبار زكار، ط (1)، بيروت، 1974م.

[10]أحمد بن عمر ابن رسته (ت290هـ)، **الأعلاق النفسية**، ط (1)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988م.

[11]إسماعيل بن علي الأكوع، **المدارس الإسلامية في اليمن**، ط (2)، الجيل الجديد، صنعاء، 1985م.

[12] **هجر العلم ومعاقله في اليمن**، ط (1)، ج(4)، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1416هـ/1995م.

[13]الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (ت360هـ)، **الإكليل**، ج (1)، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1397هـ/1977م.

[14] الإكليل، ج (2)، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، 2004م.

[15]وبرهان الدين الزرنوجي (ت بعد 563هـ)، تعليم المتعلم طريق التعلم، إعداد الدكتور: عبد اللطيف محمد العبد، ط (1)، النهضة العربية، القاهرة، 1397هـ/1977م.

[16]حسن عبد العال أحمد، التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، دار الفكر العربي، القاهرة، 1978م.

[17]حميد بن أحمد بن محمد المحلي، الحدائق الوردية في مناقب ائمة الزيدية، تحقيق: د. المرتضى بن زيد المحطوري، ط (1)، ج (2)، مكتبة بدر للطباعة والنشر والتوزيع، صنعاء، 1423هـ/2002م.

[18]سعيد إسماعيل علي، تاريخ التربية والتعليم، عالم الكتب، القاهرة، 1985م.

[19]سليمان بن يحيى الثقفي، سيرة الإمام أحمد ين سليمان (532-566هـ)، تحقيق: د. عبد الغني محمد عبد العاطي، ط (1)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، القاهرة، 2002م.

[20]عبد الرحمن عبد الواحد محمد الشجاع، الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الأزهر، القاهرة، 1986م.

[21]عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الوصابي (ت782هـ)، تاريخ وصاب المسمى الاعتبار في التواريخ والأثار، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، نشر مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار العودة، بيروت، 1979م.

[22]عبد العزيز قائد المسعودي، إشكالية الفكر الزيدي في اليمن المعاصر، قراءة في القراءات السبع لتراث معتزلة العراق، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2008م.

[23]عبد الغني علي علي عائض الهجري، الحياة العلمية في اليمن من بداية القرن التاسع الهجري حتى سيطرة العثمانيين عليها (801-945هـ/ 1397-1538م)، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة المنصورة، المنصورة، 1429هـ/2008م.

[24]عبد الملك بن أحمد بن قاسم حميد الدين، الروض الأغن في معرفة المؤلفين باليمن ومصنفاتهم في كل فن، ط (1)، ج (2)، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1415هـ.

[25]علي بن الحسن بن أبي بكر الحسن الخزرجي (ت812هـ)، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ج (1)، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، دار الآداب، بيروت، 1403هـ/1983م.

[26]عمارة بن علي اليمني (ت569هـ)، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، ط (2)، مطبعة السعادة، القاهرة، 1396هـ/1976م.

[27]محمد عبده محمد السروري (الدكتور)، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة من سنة (429-626هـ)، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 1425هـ/2004م.

[28]محمد عطية الأبراشي، التربية الإسلامية وفلاسفتها، ط (2)، مكتبة عيسى حلبي، 1969م.

[29]محمد بن علي الأكوع، الوثائق السياسية اليمينية من قبل الإسلام إلى 332هـ، دار الحرية، ط (1)، بغداد، 1976م.

[30]محمد بن علي الزحيف ابن فند (ت916هـ/1510م)، مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار ويسمى اللواحق الندية بالحدائق الوردية (شرح بسامة السيد صارم الدين الوزير)، تحقيق: عبد السلام بن عباس الوجيه وخالد قاسم محمد المتوكل، ط (1)، ج (2)، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمّان، 1423هـ/2002م.

[31]محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه أبو عبد الله، سنن ابن ماجه، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه العلامة المحدث: محمد ناصر الدين الألباني، ط(1)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

[32]محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي، السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي، ط (1)، ج(1)، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1414هـ/1993م.

[33]محمد بن يوسف ين يعقوب الجندي، السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، ج (2)، شركة التنوير للطباعة والنشر، بيروت،1409هـ/1989م.

[34]محمود قمبر، دراسات تراثية في التربية الإسلامية، دار الثقافة، الدوحة، 1985م.

[35]مسلم اللحجي (ت545هـ)، تاريخ مسلم اللحجي ويسمى بأخبار الأئمة من آل البيت وشيعتهم باليمن، مخطوطة، مكتبة الإرشاد، صنعاء.

[36]منير الدين أحمد، تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري، تلخيص وتعليق د: سامي الصقار، دار المريخ، الرياض، 1401هـ/1981م

[37]يحيى بن الحسين بن القاسم (ت1100هـ)، طبقات الزيدية الصغرى، توجد منه صورة في المكتبة المركزية، جامعة صنعاء، وهي مصورة في قرص C. D رقم (5252) في المكتبة السمعية والبصرية التابعة للمكتبة المركزية.

[38]غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ج(1)، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1388هـ /1968م.

[39]يحيى بن القاسم بن يحيى الحمزي، سيرة الإمام المهدي أحمد بن الحسين (ع)، مركز أهل البيت (ع) للدراسات الإسلامية، صعدة، (د.ت).

[40]يوسف بن عبد الله ابن عبد البر (ت463هـ/1070م)، جامع بيان العلم وفضله، تعليق: محمد عبد القادر عطا، ط(2)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1997م.